رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2379) السنة التاسعة
الإثنين (30) كانون الثاني 2012

13

عندما اصبح التاجر زعيما وطنيا

لقطات من حياة بكر صدقي

حسين جميل يروي في يومياته : عندما قررنا اغتيال نوري السعيد

حسين جميل يروي في يومياته

عندما قررنا اغتيال نوري السعيد

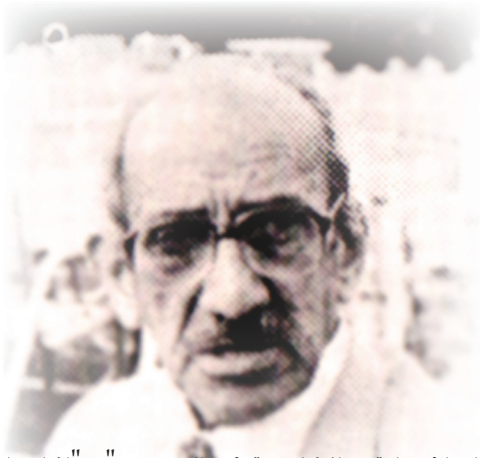

في غمرة معارضتنا عقد معاهدة تحالف مع بريطانيا فاتحني احد عناصر "فريقنا "جميل عبد الوهاب باقتراح ان نغتال نوري السعيد، وقال لي ان نوري السعيد يذهب ليلا لزيارة صديق له هو (فلان ذكرى اسمه وقد نسيته) وتقع داره في الحيدرخانة قرب شعبة مدرسة البنات المركزية – والطريق التي يسلكها نوري الى الدار هي طريق العاقولية الى بيوت بيت الالوس ثم الى الزقاق المقابل التي تقع في مدخله دار حسين مكي خماس وعباس فضلي خماس الى الدار المقصودة. ويمكننا ان نكمن له في محل ما من هذا الطريق الطويل وبعد اطلاق الرصاص عليه نستطيع ان نختفي في زقاق من الازقة الكثيرة في هذه المنطقة.

قلت له اننا يجب ان لا نسلك طريق الاغتيال السياسي فهو طريق مسدود لا يؤدي الى نتيجة ايجابية في تحقيق اماني الشعب الطامح الى الاستقلال. وذهاب من نعتقد انه يتعاون مع الاجنبي لا ينهي هذا التعاون حيث يوجد كثير ممن يحلون محل الذي يذهب، اما الطريق المجدي فهو الطريق الشعبي، تنامي قوى الشعب وقيامها بحركة تستطيع ان تفرض حلولها في المجتمع، وقد اقتنع جميل عبد الوهاب براي هذا وعدل عن ماكان يفكر فيه.

كان هذا الحديث معي وحدي ولا اعتقد انه فاتح به احداً من عناصر "الفريق "فان احداً منهم لم يتحدث فيه، ولم يكن موضع بحث.

دعوتنا إلى اجتماع عام والتظاهر ضد المعاهدة وما ترتب على ذلك من محاكمة واحكام بالسجن:

١- منشور:

لعل اول مظهر من مظاهر النشاط السياسي الذي مارسناه في صيف سنة ١٩٣٠ كان كتابتنا وطبعنا وتوزيعنا منشوراً نؤيد فيه دعوة رئيس الحزب الوطني العراقي "بانتهاج سياسة عدم التعاون ومقاطعة انتخاب المجلس النيابي "، فقد كان الحزب الوطني مذ تولى نوري السعيد رئاسة الوزارة، واعلن عن سياسته بشأن عقد معاهدة تحالف مع بريطانيا، قد دعى الى اتخاذ موقف سلبي من الانكليز حتى تنجلي حقيقة موقفهم ازاء العراق (خطاب جعفر ابو التمن رئيس الحزب في اجتماع عام، ودعى رئيس الحزب الوطني الجمهور الى ان يتركوا السياسة الايجابية ويرفضوا الاشتراك في المجالس النيابية التي اصبحت الى الهزل اقرب منها الى الجد، ويتخذوا سياسة عملية تقاوم بها الوضع الشاذ عن طريق عدم التعاون ودعى الى مقاطعة انتخاب مجلس النواب.

بهذه الأفكار ظهر الحزب الوطني اقرب الهيئات السياسية الينا هذا بالاضافة الى ما نعرفه عن رئيسه جعفر ابو التمن من ماضي وطني بدأ ببروز دوره في ثورة العشرين، وبعد ذلك مواقفه من اجل عراق مستقل وديمقراطي، تلك المواقف التي جعلته هدفاً لنفي الانكليز له الى جزيرة هنجام سنة ١٩٢٢، لذلك كتبنا بياناً نؤيد فيه دعوة رئيس الحزب الوطني ومعه من فريقنا عبد القادر اسماعيل وفائق السامرائي وعزيز شريف وجميل عبد الوهاب وخليل كنة وانا، ووقعه معنا اخرون هم الشيخ محمد مهدي كبة وصادق حبة وطالب حسن وعبد الكريم محمود ومكي الاشترى، وطبعنا البيان في منشور يدوي واعطيناه الى الصحف ونشرته بعضها في يوم ٢٠ تموز، ومنها جريدة البلاد وصوت العراق والجريدة الاخيرة من صحف الحزب الوطني صدرت بدل جريدة الاستقلال التي كانت قد عطلت.

٢- رسائل:

بحثنا الرسائل التي نمارسها في نشاطنا السياسي، فكان من راينا انه يجب ان تكون لها في المستقبل جريدة يومية سياسية، تبشر بدعوتنا وتعبر عن آرائنا في الاحداث الجارية. وحيث كان من شروط المدير المسؤول للجريدة – بموجب احكام قانون المطبوعات النافذ- ان يكون متخرجاً في مدرسة عالية وكنت انا الوحيد من بين "الفريق "اكملت الدراسة العالية وكان الاخرون مازالوا في كلية الحقوق واغلبهم في الصف المنتهي، لذلك كان الراي ان اتقدم انا بطلب امتياز اصدار الجريدة، بعد ان اكمل معاملة تعادل شهادتي من معهد الحقوق في دمشق مع شهادة كلية الحقوق العراقية. والى ان يتم ذلك قررنا اصدار رسائل بحجم صغير في مواضيع دعوتنا السياسية.

وصدرت اول رسالة لي بعنوان "انكلترا في جزيرة العرب "صدرت في اول آب ١٩٣٠، وكانت مواضيعها "السياسية الانكليزية في الجزيرة "و "انكلترا بين الالحاق والحماية والانتداب الفاظ لمعنى واحد "و "الانكليز خصوم الوحدة العربية "و "معاهدة سايكس بيكو " و "كيف اغتصب الانكليز الكويت ". وكانت الرسالة في "٢٦ "صفحة ومواضيعها كنت قد كتبتها وانا طالب في الصف المنتهي من معهد الحقوق في دمشق. ونشرت واحداً من مواضيعها في جريدة الشعب في دمشق وموضوعاً اخر نشرته جريدة النداء في بيروت وهذه الجريدة هي لسان حال حزب النداء القومي في لبنان وكان رئيسه كاظم.

كتبنا على هذه الرسالة انها الرسالة الاولى، واعلنا في ظهر غلافها الاخر عن الرسالة الثانية وانها ستكون بعنوان "عدم التعاون "بقلم فائق السامرائي، وعرفنا القارئ بمواضيعها وانها ستضم فصولا في السياسة السلبية والايجابية، وفشل طريقة المفاوضات في نهضات الشعوب وضرورة مقاطعة المجالس النيابية لانها في البلاد المستعمرة اداة المستعمر.

ولم تصدر هذه الرسالة حيث جرى بعد مدة قصيرة توقيفنا ومحاكمتنا والحكم بالحبس على اكثرنا، من الذين اوقفوا وحوكموا فائق السامرائي. كما سياتي الحديث.

٣- اخبار السلطة بعقد اجتماع عام ودعوا الى التظاهر ومنشورات:

قررنا عقد اجتماع عام نعرض فيه رأينا بالمعاهدة، تعقبه مظاهرة شعبية ضد المعاهدة. وبعد ان راجعنا "ادارة الاوبرا العراقية "ووافقت على تاجيرنا الدار في عصر يوم الاثنين ٢٢ ايلول. قدمنا في يوم ١٧ ايلول كتابا الى متصرف لواء بغداد باخباره بعقد هذا الاجتماع العام، كما ينص قانون الاجتماعات العمومية، وان تظاهرة سوف تعقب الاجتماع، ولم اشترك انا في التوقيع على هذا الاخبار، حيث ابدى رفقائي في الفريق ان لا اشترك انا في تقديم البيان، لان ذلك وبما سوف يعقب الاجتماع من احتمالات التصادم مع السلطة قد يحول دون منحي امتياز اصدار جريدة. وقد قبلت هذا الراي.

ووقع الاخبار الى متصرف لواء بغداد، عبد القادر اسماعيل وفائق السامرائي ومحمد يونس السبعاوي وعزيز شريف وجميل عبد الوهاب وخليل كنة وصادق حبة ونشرته بعض الصحف ومنها صدى الاستقلال (عدد ١٨ ايلول) ونص الكتاب الى التصرف هو الاتي:

حضرة متصرف لواء بغداد المحترم

حلت الوزارة الحالية مجلس النواب السابق لتجري انتخابات لمجلس تعرض عليه نصوص المعاهدة والملحق والاتفاقيات التي نشرتها الوزارة في ظروف مختلفة، ولما كان الاستفتاء لا يكون مشروعاً الا اذا احترمت فيه حرية الرأي والاجتماع، لذا سنعقد اجتماعاً سياسياً في الاوبرا العراقية مساء الاثنين الموافق ٢٢ ايلول ١٩٣٠ للبحث في الموقف السياسي الراهن، والتظاهر في مساء نفس اليوم.

وكتبنا بياناً الى الشعب طبعناه في مطبعة الاداب بشكل منشور يدوي ندعو فيه الى الاجتماع والمظاهرة، وقد وزعناه نحن في مناطق بغداد المختلفة.

ونشرته بعض الصحف ومنها جريدة الزمان (التي حلت محل جريدة البلاد المعطلة) عدد ٩/١٩ والعالم العربي عدد٩/٢٠ اما جريدة لواء الاستقلال فقد نشرت في عدد يوم الاثنين ٩/٢٣ خبراً في المحليات قالت فيه "كبست الحكومة ادارة جريدة الاستقلال بعد منتصف ليلة امس الاثنين وصادرت جميع النسخ التي تم طبعها.... عملت الحكومة هذه العملية القاسية بحجة ان الجريدة نشرت الاذاعة التي وزعها الشباب قبل يومين مساء السبت الماضي وليست هذه الحادثة باعتداء على الحرية الفردية فقط بل انها اعتداء على الحق العام ايضاً... ولا نعرف ان هناك ادارة عرضية تجيز للحكومة هذا التصرف غير القانوني، ويبدو لي ان هناك سبباً اخر لمصادرة النسخ المطبوعة من العدد، لان هذا المنشور نشرته جريدتا الزمان والعالم العربي ولم تكبسا ولم يصادر العدد، وربما كان في جريدة لواء الاستقلال مقال كان سبب ذلك الاجراء او كان في العدد تعليق على البيان. اما نص المنشور فهو التالي:

"الى الشعب العراقي العظيم

"الجهاد الشريف سبيل الامة الباسلة الى الاستقلال، والشعوب لاتنال حريتها بغير النضال العنيف، وقد خدعك سماسرة الانتداب باباطيل المعاهدات وتدجيل المفاوضات طيلة عشر سنين، قاسيت فيها مر العذاب، وانت الشعب الذي قدم الضحايا المقدسة والشهداء الابرار في سبيل حرية مغتصبة وحق سليب.

وقد أن لك أن تبرهن بصورة عملية على انتهاجك السياسة السلبية التي اعلنتها من قبل كما، اعلنتها الهند وايرلندة وبولونية وفلسطين في كفاحها، ومقاطعة الانتخابات التي سرت عليها خطوة اولى في سلوك هذه السياسة الرشيدة. وقد قدم الشباب بياناً لاجتماع سياسي في الاوبرا العراقية في عصر الاثنين المصادف ٢٢ ايلول ١٩٣٠ وفي هذا الاجتماع والتظاهرة السلمية التي ستعقبه سيوضح الخطباء الخطة التي ندعوك اليها، وقد برهنت على قوتك ورصانتك في التظاهرة السابقة الكبرى فالى مثلها ندعوك...

"ملاحظة سنعلن اسماء الخطباء وساعة الاجتماع بنشرة اخرى".

وكتبنا بياناً ثانياً طبعناه في مطبعة الاداب ايضاً بشكل منشور يدوي طبعنا منه اربعة الاف نسخة ووزعناه نحن في مناطق بغداد المختلفة، ولم ينتشر في صحيفة ما. انما قراه فائق السامرائي في افادته في المحاكمة التي سياتي الحديث عنها – ونشرته الصحف مع افادة فائق، وكان المقصود من قراءته في المحاكمة ان يسمعه المستمعون في المحكمة وان ينشر في الصحف ضمن اجراءات المحاكمة. وهذا المنشور الثاني كان موضوع المحاكمة. ونصه هو التالي:

"الاضراب العام والاجتماع السياسي والتظاهرات الكبرى

عصر الاثنين المقبل ٢٢ ايلول سنة ١٩٣٠

من الشباب الى الشعب العراقي العظيم:

انت تقاسي الجوع والعرى والانكليز واتباعهم سبب جوعك وعراك، وهم ينعمون بثروتك وغناك وهم الذين مزقوا قومك وساموك الذل فلهم في كل موطن من مواطننا مظالم، ففلسطين مرهقة يشتت الانكليز ابناءها ويخرجونهم من ديارهم ليسكنوا الصهيونيين الاعداء فيها. وقد ارهقوا ومازالوا يرهقون العرب في انحاء جزيرتك المقدسة، فهذا الفقر وتلك المظالم والمعاهدات الجائرة تدعوك الى الاحزاب العام بعد ظهر الاثنين المقبل، وذلك بتعطيل الاشغال ووسائل النقل وقفل الدكاكين والمحلات التجارية والمقاهي ودور الاعمال عموماً، وان تتظاهر سلمياً.

الى هنا قال الحاكم لفائق السامرائي كفى فسكت فائق.

منع الاجتماع وتوقيفنا:

في ٢٠ أيلول ابلغ المتصرف مقدمي البيان – بواسطة شرطة بغداد بمنع عقد الاجتماع واقامة المظاهرة، فابلغنا الصحف بالمنع ونشرت الخبر. وفي صباح اليوم التالي (٢١ ايلول) بدأت الشرطة منذ الصباح تقبض علينا وتضعنا في موقف شرطة السراي، وبدأ محققوا الشرطة التحقيق معنا. وبعد ان اجروا التحقيق قدمت الشرطة الاضبارة التحقيقية الى محكمة جزاء بغداد في يوم ٩/٢٤ بطلب محاكمتنا ونقلنا من مركز شرطة السراي الى الموقف العام الملحق بسجن بغداد في باب المعظم، اما الموقوفون فهم مقدموا البيان الى المتصرف وانا معهم وكذلك عبد المجيد حسن مدير مطبعة الاداب وثلاثة نسب اليهم توزيع المنشور اليدوي الى الجمهور وهم احمد قاسم راجي وعمر خلوصي الراشدي وسليم زلوف، ولم تستطع الشرطة القبض على عزيز شريف وصادق حبة وهما من الموقعين على البيان الى المتصرف رغم تحرياتها عنهما فقد اختفيا، وعلمت بعد ذلك ان المحل الذي اختفا في عزيز شريف كان مزرعة لابن خالته مالك فتيان الوادي في منطقة سامراء.

نشرت جريدة الزمان (وهي جريدة صدرت بدل جريدة البلاد عندما عطلتها السلطة) نشرت تعريفاً بالموقوفين وقالت عني اني "ليسانس في الحقوق من كلية دمشق ومؤلف رسالة انكلترا في جزيرة العرب.. ومن الكتاب المهتمين بالقضية العربية، وله فيها مقالات بارعة. وقد كان طالباً في كلية الحقوق البغدادية فاخرج منها لاشتراكه في مظاهرة ضد الفرد موند.

ونشرت جريدة "بغداد تايمس– الاوقات البغدادية – وهي جريدة تصدر من شركة خاصة باللغتين الانكليزية والعربية وهي جريدة موالية للسلطة البريطانية في بغداد نشرت في قسمها الانكليزي فصلا عن حادثة التوقيف وترجمة للموقوفين.

وبسبب منع المتصرف الاجتماع والمظاهرة قدم فريق اخر متكون من سعيد الحاج ثابت ومحمود الملاح ويوسف رجيب وسعيد عباس السامرائي وصادق كمونة وعبد الكريم محمود وعبد الله البراك طلباً الى المتصرف اشاروا فيه الى قرار المنع وان "الواجب الوطني يحتم موالاة العمل ومواصلة هذه الفكرة، لذلك فهم يعتزمون عقد اجتماع في جامع الحيدر خانة بعد ظهر يوم الجمعة (٩/٢٦) والتظاهر الى الباب الشرقي والعودة الى الجامع. وقد منع هذا الاجتماع ايضاً وفي ١٩٣٠/١١/٤ قدم الى المتصرف اخبار ثالث بعقد اجتماع عام في يوم ١١/٧ في الاوبرا العراقية لمناقشة المعاهدة وقعه سعيد الحاج ثابت والمحامي نوري الاورفه لي والمحامي طاهر القيسي والمحامي ابراهيم السعدي ويوسف رجيب وسعيد عباس السامرائي وصادق كمونة وعبد الله البراك وعمر خلوصي وكنت انا من الموقعين عليه وقد منع المتصرف عقده، ونشرت صدى الاستقلال في اليوم التالي شجباً لموقف السلطة بمنعها عقد الاجتماعات العامة.

يوميات حسين جميل وهو كتاب في طريقة الى الصدور بتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدي

لهجة الابطال

اقدم نص شعري مسرحي في الوطن العربي يظهر في العراق

احمد فياض المفرجي
مؤرخ المسرح العراقي

اكدت كل الدراسات الموضوعة، ان محمد رضا شرف الدين هو اول من كتب المسرحية الشعرية في العراق، وهذه الكتابات تشير الى مسرحيته "الحسين" الصادرة ببغداد عام ١٩٣٣ ، وتعدها اول نص شعري عراقي جاء بعد (امير الشعراء) احمد شوقي..

اقرأوا: (.. وقد هز شوقي شعراء العربية في حدثه هذا.. وحفزهم الى ولوج هذا الميدان الجديد.. وحينما اصدر مسرحيته الخالدة "مصرع كليوباطرة" عام ١٩٢٧ واعقبها بـ "مجنون ليلى" و "قمبيز" و "علي بك الكبير" و "عنترة" و "اميرة الاندلس" النثرية، اخذ الشعراء يطرقون هذا الباب مترسيمن خطاً وسرعان ما انتشر هذا الفن في العالم العربي وكان البلد الذي حاز قصب السبق في اقتباس هذا الفن والكتابة فيه بعد مصر هو العراق، ففي عام ١٩٣١ (الصحيح ١٩٣٢) اخرج الاستاذ محمد رضا شرف الدين مسرحيته الرائدة "الحسين" في ٢٤٠ صفحة (والصحيح ٢٠٦ صفحات) من القطع الصغير.) – راجع كتاب "نقد وتعريف" تأليف الاستاذ عبد الله الجبوري – الطبعة الاولى.

هذا الرأي شاع بين المعنيين بحركة المسرح في العراق، وجرى ترحيله الى جميع المؤلفات والدراسات والرسائل الجامعية دون ان يكلف اي باحث نفسه عناء تصحيح هذا "الخطأ" او "السهو" او سمه ما شئت !! انه استنتاج عجول.!

يقول الدكتور عمر الطالب الاستاذ في جامعة الموصل فيكتابه "المسرحية العربية في العراق" : (. واول مسرحية شعرية ظهرت في العراق هي "الحسين" عام ١٩٣٣ لمحمد رضا شرف الدين وتبعه خضر الطائي الذي قلد شوقي في مسرحية "قيس ولبنى" عام ١٩٤٣).

ومثل هذا الرأي جاء في كتاب للدكتور علي الزبيدي الاستاذ في جامعة بغداد، اما كتاب "النقد الادبي" المقرر للصف السادس الاعدادي فقد كرس فصل – الشعر التمثيلي – لاحمد شوقي مسرحياته ، وعن العراق فقد جاءت هذه الاشارة في هامش صفحة ٤٨ : (وفي العراق نظم الشاعر خالد الشواف مسرحية "شمسو" وهي مستوحاة من التاريخ العراقي القديم). وواضح ان واضع الاشارة هذه قد الغى من جاءوا قبل الشواف مثل محمد رضا شرف الدين وخضر الطائي وعبد الحميد الراضي وغيرهم من كتبوا المسرحية الشعرية في الثلاثينيات والاربعينيات.. كما انه نسي تثبيت مسرحيتي الشواف الشعريتين الصادرتين قبل طبع كتاب "النقد الادبي" في عام ١٩٧٤ وهما، الاسوار، و"الزيتونة".!!

وحتى الان ولغاية كتابة موضوعنا هذا فان اية دراسة صادرة في العراق ام في خارجه لم تؤكد المسرحية الشعرية لهجة الابطال" لمؤلفها الدكتور سليمان غزالة والتي عثرت على نسخة من طبعتها الثانية في "مطرانية الكلدان" بمحافظة نينوى، بعد ان اعتبني البحث عن "وجود" لها في مكتباتنا العامة (الرسمية).

ان "لهجة الابطال" مسرحية شعرية صدرت طبعتها لثانية في سنة ١٩١١.

اي قبل ان يطبع احمد شوقي كل مسرحياته التي ذاع صيتها، ونالت (قصب السبق) في جميع الدراسات العربية والعراقية والاجنبية ايضا..

يصف الدكتور سليمان غزالة مسرحياته بانها (منظومة تشخيصية في انتصار الملة العثمانية) و(تباع وتشخص لمتابعة الهلال الاحمر) و(برخصة المؤلف) وقد طبعت في "القسطنطينية" بمطبعة الشركة العثمانية المشتركة المنفعة.

ويكتب المؤلف في تمهيده لها: (.. وقد جعلت هذه المنظومة على طرز رواية تشخيصية تنقسم الى ثلاثة فصول اولها بشخص الملة الامينة وهي في قلق ولوعة) و(الفصل الثاني: بشخص الارواح الشريرة وزعيمها الاستبداد) و(الفصل الثالث موضوعه انتصار الملة..)

وللدكتور سليمان غزالة عدة مؤلفات في الطب واللغة والاجتماع منشورة باللغتين العربية والفرنسية وله الى جانب ذلك حوارية شعرية صادرة ببغداد عام ١٩٣٩ وهي معروفة ومتداولة "اشار اليها المؤلف في الغلاف الاخير لمسرحيته الشعرية موضوعة البحث".

اكرر..

ان "لهجة الابطال" المسرحية الشعرية التي كتبها الدكتور سليمان غزالة والصادرة طبعتها الثانية سنة ١٩١١ هي اقدم من الاعمال المسرحية الشعرية المطبوعة والمعروفة لاحمد شوقي.. وباكتشافها الان والاعلان عنها، ينبغي التوقف عن ترويج الاستنتاجات غير الدقيقة، والشروع بتصحيح المدونات السابقة عن النشاط المسرحي في الوطن العربي وبخاصة المسرح الشعري..

من اوراق عبد الحميد الرشودي

قدم الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي مجموعة من مقالاته عن عدد من الشخصيات الادبية والصحفية والسياسية او عن بعض الاحداث الطريفة التي عرف اسرارها او تعليقاته على بعض المؤلفات التي تعنى بتاريخنا الفكري الحديث، ونعيد نشر هذه المجموعة تباعا في ملحقنا (ذاكرة عراقية).

على هامش الذاكرة 28 لرحيله: انور شاؤول صحفياً

كان الاستاذ عبد الحميد الرشودي قد قدم لنا هذه المقالة الشائقة لتنشر في ملحق (عراقيون) الخاص بالراحل انور شاؤول.. الا انها وصلت متأخرة وها هي بين يديك في هذا الملحق..

ينتمي انور شاؤول الى اسرة يهودية بغدادية عريقة لها تاريخ مشهود في رئاسة الطائفة واعمال الصيرفة في عهد المماليك وقد برز في هذه الحقبة اسم جده ساسون صالح داود، وكانت اسرته قد نزحت الى مدينة الحلة في مطلع القرن الماضي طلباً للرزق اذ كان ابوه يعمل في التجارة والمقاولات والصيرفة وفي هذه المدينة الجميلة التي تغفو على ضفوف الفرات ولد انور واستقبل الحياة في بيئة ادبية سمحة فقد كانت الحلة روضة ادب وأيكة شعر ولا عجب في ذلك فقد كانت ثالثة الحواضر بعد بغداد والنجف الاشرف وقد استوفى انور نصيبه من التعليم الادبي واشرب حب الادب والشعر منذ يفاعته، وعندما وقعت حملة عاكف بك على الحلة وفتك برجالها ومزقهم كل ممزق وقد شهد انور وهو صبي يافع هذه المشاهد المؤلمة واستقرت في وجدانه ثم ظهرت على لسانه في الحدب على الفقراء والبائسين ووجوب سيادة الاخاء الانساني بين جميع البشر بغض النظر عن اختلاف الاديان وتباين الاصول والعناصر لذا نراه في مؤتنف حياته يبشر بهذه المثل والمبادئ حتى اتخذها شرعة ومنها جاله في الحياة.

بعد هذا الخراب والدمار الذي اصاب الحلة قفلت اسرة انور عائدة الى موطنها الاول بغداد فالتحق بمدرسة الاليانس واكمل دراسته الثانوية فانتمى الى مدرسة الحقوق ونال اجاز بها سنة ١٩٣١.

لقد كان انور شاؤول فطناً لقناً وقد تفتحت مواهبه الادبية منذ يفاعته وتعددت اختصاصاته فهو اديب مقتدر وقاص مبدع وشاعر مجيد وقانوني ضليع ورجل اعمال وقد ترك في كل حقل من هذه الحقول آثاراً وبصمات تشهد له بالتفوق والاقتدار الا اني اريد في كلمتي هذه ان اضيف موهبة جديدة تضاف الى مواهبه السابقة وهي موهبته الصحفية فقد مارس الصحافة ولما يتجاوز عمره العشرين عاماً فحين اصدر المحامي سلمان شينة جريدة باسم "المصباح" التي صدر عددها الاول في ١٠ نيسان سنة ١٩٢٤ عهد برئاسة تحريرها الى انور شاؤول فاستمر في مهمته هذه مدة استغرقت سنتها الاولى ثم استقال.

وفي عام ١٩٢٩ استحصل اجازة من وزارة الداخلية لاصدار مجلة باسم "الحاصد" صحيفة اسبوعية جامعة لصاحبها ورئيس تحريرها المسؤول انور شاؤول وقد صدر عددها الاول يوم الخميس ١٤ شباط ١٩٢٩ وبعد تخرجه من مدرسة الحقوق سنة ١٩٣١ جعل عنوانها صحيفة سياسية اسبوعية جامعة لصاحبها ورئيس تحريرها المسؤول المحامي انور شاؤول ونظرة فاحصة عليها تدل على مستواها الادبي والعلمي الراقي وقد استمرت في الصدور بانتظام سبع سنوات كاملات تخللتها سنة احتجاب واحدة وقد خدمت الثقافة والادب اجل خدمة ثم احتجبت بمحض اختيارها في ٣١ آذار سنة ١٩٣٨.

وقد اشار اليها الفيكونت فليب دي طرازي في كتابه "تاريخ الصحافة العربية – الجزء الثالث ص ٨٤.

وكما خدم الادب والصحافة فقد اسدى الى فن الطباعة في العراق يداً بيضاء فعندما اسس شركة التجارة والطباعة المحدودة وكان قد استورد مطبعة حديثة وتشهد الكتب التي طبعت فيها على انها مطبعة عصرية راقية طورت فن الطباعة في العراق وقد تولت هذه المطبعة طبع كتاب تاريخ العراق بين احتلالين وتاريخ النفوذ وتاريخ الموسيقى عند المغول والكاكاتية في التاريخ ومجموعة عبد الغفار الاخرس وكلها للمؤرخ الاستاذ عباس العزاوي، وهناك كتب كثيرة اخرى لمؤلفين آخرين طبعت في تلك المطبعة.

لقد كان انور شاؤول ربعة في الرجال الى القصر وكان يعتمر الصدارة ويمشي الهوين وكثيرا ما كان يقع عليه نظرى في غداوته وروحاته بين داره في الصالحية ومقر المطبعة الذي كان يشغل بناية انيقة ذات طابق واحد تقع في الجهة اليمنى من اول شارع الصالحية وهي الان مشغولة لبيع الاثاث والاخشاب وكان انور شاؤول قد اتخذ اسما مستعاراً هو ابن السموءل ولا يخفي ما فيه دلالة وكان يحيي اطلالة المولد النبوي بقصيدة وقد قرأت له كثيراً من هذا الشعر منشورة في الصحف المحلية. وقد اضطر انور شاؤول الى مغادرة العراق اواخر عام ١٩٧١ وكانت وجهته الى هولندا على امل ان يجد عملا في مطبعة ليدن ولكنه لم يحصل على ما كان يأمل وقد دون مذكرات بعنوان "قصة حياتي في وادي الرافدين".

ثم ادركته الوفاة في ١٤ كانون الاول سنة ١٩٨٤ غريبا كئيبا وهو يردد:

ان كنت من موسى قبست عقيدتي
فانا المقيم بظل دين محمد
وسماحة الاسلام كانت موئلي
وبلاغة القرآن كانت موردي
ما نال من حبي لامسة احمد
كوني على دين الكليم تعبدي
سأظل ذياك السموءل في الوفا
اسعدت في بغداد ام لم اسعد

رحم الله انور شاؤول فقد كان مواطناً شريفا رعى حقوق المواطنة حق رعايتها وكان انساناً نبيل القصد شريف الغاية تخطى كل القيود والسدود فما حال دونه دين ولا حبس من ان تندمج مع اخوانه في نسيج انساني فريد سيذكره له التاريخ بكل فخر واجلال.

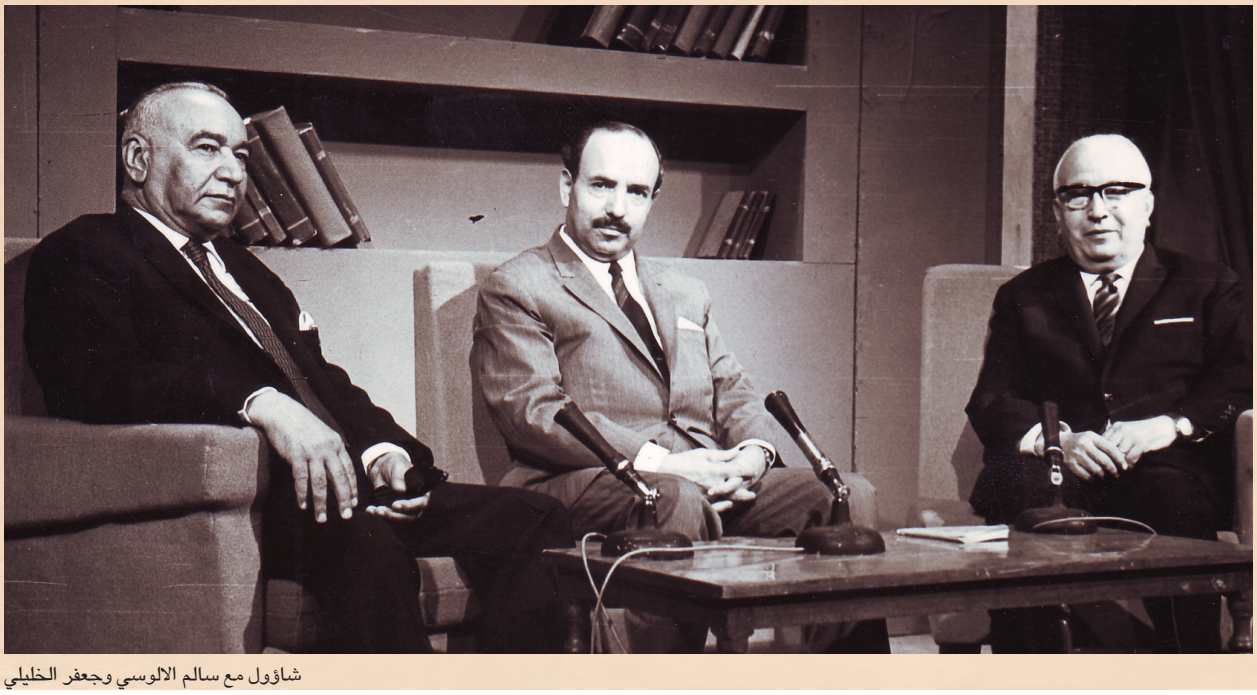

شاؤول مع سالم الالوسي وجعفر الخليلي

آثاريون في العراق

يوليوس اوبيرت Julius Oppept 1825 – 1905

سالم الالوسي
مؤرخ واثاري عراقي

مقدمة:
عندما يذكر علم الآشوريات وتذكر الكتابات المسمارية يبرز اسم العلامة الآثاري الكبير يوليوس اوبيرت الذي يعد في طليعة هذا العلم، وقد لمع اسمه رائداً من رواده الكبار، وجهوده في هذا الميدان كان لها الاثر الكبير في تطور دراسات الكتابات المسمارية والتوصل الى فك رموزها وعرضها على العالم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الماضي.
والاستاذ اوبيرت كان اول من كشف النقاب عن وجود شعب عراقي قديم يعرف بالشعب السومري وذلك من خلال قراءاته النصوص المسمارية المكتشفة في عدد من مواطن الآثار القديمة مثل اور والوركاء وكيش ولجش ونفر وغيرها.
ولد يوليوس اوبيرت في هامبورغ (المانيا) سنة ١٨٢٥ وتوفي بباريس سنة ١٩٠٥، وبعد تخرجه في المدارس واصل تعليمه ودراساته العالية في المانيا، حيث بدأ دراسته طالباً تحت إشراف عالم المسماريات الشهير العلامة كريستيان لاسين Christian Lassen الاستاذ بجامعة بون Bonn واستغل اوبيرت اوقات فراغه بدراسة اللغات الشرقية ثم انصرف الى البحث، ولما بلغ الثانية والعشرين بادر الى نشر دراسة علمية بعنوان: "نظام الاصوات في اللغة الفارسية القديمة، وطبعت في برلين سنة ١٨٤٧" واكتشافه العلمي هذا عملاً متميزاً مستقلاً عما قام به الآخرون، وكانت عبقريته الفذة وذكاؤه الخارق وعمله البارز جلب انتباه عدد من العلماء والباحثين الفرنسيين واهتمام فاستدعي للحضور الى فرنسا لغرض الالتحاق بالبعثة الآثارية الفرنسية المقرر ايفادها للتنقيب في بلاد الرافدين (ميسوبوتاميا) وبلاد ميديا بعنوان: Expedition Scientifique et Artistique de Medopotomie et de Medie وبدأت هذه البعثة اعمالها في ٢٨٥٢/٧/١٥ في خرائب بابل وكانت تحت ادارة الآثاري فولغانس فرونيل (١٧٩٥-١٨٥٥) Fresnel (Fulgence) وبعد تجنسه كان يخاطب بالصيغة الفرنسية (يول اوبير).
يوليوس اوبيرت وفيليكس توماس (Felix Thomas) ومن المؤسف ان البعثة المذكورة لم يحالفها الحظ كما كانوا يتوقعون من النجاح في العثور على آثار مهمة ومنحوتات حجر ضخمة اسوة بما حظي به المنقب الانكليزي (لوفتس Loftus)، ولم يقتصر تنقيب البعثة على بابل بل اجرت تنقيبات في اطلال موقع كيش Kish، وبعد عامين من العمل المتواصل في بابل وكيس ومواقع اخرى عادت البعثة الى باريس ولم يتسن لها شحن الآثار معها بل تركتها محفوظة في (٤٠) اربعين صندوقا بانتظار نقلها على الاطواف (الاكلاك) عبر الفرات الى البصرة ومنها بالبواخر الى فرنسا، ومن سوء حظ هذه البعثة ان هذه المجموعات من الآثار المكتشفة مع (٨٠) ثمانين صندوقاً تضم منحوتات من المرمر وآثاراً اخرى تعود الى الحكومة البروسية، تعرضت اثناء نقلها على الاكلاك الى الغرف عند التقاء دجلة والفرات في القرنة يوم ١٨٥٥/٥/٢١ فكانت اكبر كارثة آثارية في ذلك الوقت، وكانت من بين تلك المجموعات عشرات المنحوتات المكتشفة في خرسباد (دور – شروكين القديمة).
كانت فرصة ثمينة اتيحت لاوبيرات خلال عملها في العراق زيارة اطلال المدن القديمة والمواقع الاثرية في انحاء العراق كافة، ومما يذكر بهذا الصدد قصة طريفة عن زيارته لموقع خرسباد ولقائه المنقب العراقي الذي كان يعمل لحساب البعثة الاثارية من جانب المتحف البريطاني (هرمز رسام) الموصلي الذي كان ينقب في عدد من المواقع القديمة الاثرية نيابة عن المتحف البريطاني حيث ابدى رسام اعجابه الكبير واستغرابه من براعة اوبيرت الذي كان يقرأ النصوص المسمارية المنقوشة على الالواح والمنحوتات الاشورية بسرعة وطلاقة مع ترجمة معانيها كما لو كان يقرأ بكتاب!! قال رسام لأوبرت: ياسيو اوبيرت، اما ان تكون ساحراً او مشعوذاً!! فقد كان يساوه الشك في صدق قراءته كتابات تعود الى الملك الاشوري سرجون الثاني والقابه وسيادته على العالم القديم.
في عام ١٨٥٣ زار اوبيرت بغداد وحصل على أجرة مختومة بأسم الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني كان عثر عليها في الضفة الغربية لنهر دجلة في المكان المعروف بالسن Al-sin الذي يقع مقابل فندق (ميليا منصور) بجانب الكرخ اليوم، وبعد ثلاث سنوات من عمله في فرنسا تلقى خطاباً يتطلب منه الحصول على الجنسية الفرنسية، فتلقاه بالقبول، ولم يلبث ان صدر الأمر بتعيينه استاذاً لكرسي علم الآثار وفق اللغة الاشورية في الكوليج دي فرانس عام ١٨٧٤ بعد ذلك تم اختياره عضواً في الاكاديمية الفرنسية للكتابات والفنون.
كان اوبيرت واسع الثقافة رصين البحث وقد ساعده على ذلك اتقانه عدداً من اللغات القديمة والحديثة مثل العربية والفارسية والتركية والاغريقية والارمنية، تضاف الى خمس لغات اوربية حديثة، واسرة اوبيرت اسرة علمية فان شقيقه الاول ارنست جاك اوبيرت المولود عام ١٨٣٢ كان رحالة المانياً ساح في اصقاع الشرق الاقصى عام ١٨٥١ باحثاً ومؤرخاً اما الثاني فهو غوستاف سلمون اوبيرت (١٨٣٦ – ١٨٩٤) فكان من المتخصصين في عدد من اللغات الشرقية وقد عين استاذاً للغة النكريتية بجامعة مدراس (الهند) ١٨٧٢ – ١٨٩٢ وبعد انتهاء مهمته عاد الى المانيا وعين استاذا للغة الهندية القديمة بجامعة برلين.
اعماله ومؤلفاته:
برز اوبيرت في اكثر من ميدان علمي، ففي اثناء عمله عضواً في البعثة الاثارية الفرنسية التي نقبت في بابل وضع خارطة لخرائب بابل، كما قام باعمال المسح الهندسي والآثاري لموقع برس نمرود (بورسيبا القديمة) وغير ذلك مما تتطلبه اعمال التنقيب، وبعد عودته الى فرنسا عكف عام ١٧٦٩ على دراسة واستنساخ النصوص والكتابات المسمارية المحفوظة في متحف اللوفر، ولقد حالفه النجاح فتمكن من تشخيص عدد من الكلمات والعبارات الغريبة التي لا تنتمي الى عائلة اللغات العربية القديمة – اي السامية – فتوصل من خلال ذلك الى افتراض اصبح من الأمور المسلم بها Postulated يتلخص بوجود شعب له لغته الخاصة عاش قبل البابليين، لايمكن اعتباره من عائلة العرب القدماء – اي الساميين – وذلك استناداً الى نصوص مسمارية تذكر البلاد او الملك الحاكم فنتصفه بـ (ملك سومر واكد) مثل النص المسماري للملك السومري (شولكي) فاستنتج وجود شعبين سومري واكدى لكل واحد منهما لغته الى السومرية والاكدية.
ومن اعمال اوبيرت الشهيرة والبارزة انه كان احد اعضاء الفريق الرباعي من علماء المسماريات الذين شاركو في الامتحان الذي اجرته الجمعية الاسيوية الملكية لحل رموز المنشور المكتوب بالمسمارية الذي وزعت نسخ منه عليهم الملكية لحل رموز المنشور المكتوب بالمسمارية الذي وزعت نسخ منه عليهم وذلك عام ١٨٥٧ وكانت ترجماتهم متقاربة، وهم:
هنري رولنصون (انكليزي) Raw linson (H.C.)
مالبوت (وليم هنري فوكس) (انكليزي) Talbot (William Henry)
هنكس (ادوارد) (ارلندي) Hinks (Edward)
اوبيرت (يوليوس) (فرنسي) Oppert (Julius)
وكانت نتائج الامتحان تشير الى ان ترجمة اوبيرت كانت على درجة من الاهمية فلم يكتف بترجمة النص الكامل للمنشور بل عززها بتعليقات وملاحظات لغوية دلت على علميته ومهارته.

بمناسبة ذكرى رحيله ..

الايام الاخيرة في حياة كامل الجادرجي

رفعة الجادرجي

وتوالت النوبات القلبية.
عشرة سنوات وهي تتوالى.
كانت تقترب الواحدة من الاخرى لفترة لا تزيد على اسبوع. او تتباعد الواحدة عن الاخرى لفترة تزيد على نصف عام. والبيت كله مشدود الى خيط الازمة الوشيكة، كالجاذبية التي لا ترى. اذا حدثت النوبة في الليل، وغالبا بعد منتصف الليل، جاءني حمزة ودق جرس الباب لايقاظي من نومي، وقبل ان افتح الباب احيانا يقول كلمة واحدة وينصرف. يقول: "البيك". احيانا يقول: البيك، تعال. او: البيك، لو تجي. وبعد ان ترك حمزة العمل عندنا كانت تأتيني الوالدة وتقول ولكن بارتباك: رفعة تعال. او: رفعة ابوك. كان يأتيني النداء احيانا الى مكتبي مساء فيقول احد من الدار في التلفون كلمة واحدة او اثنتين، البيك، لو تأتي، او: رفعة ، بابا، او: عمو: او: ابوك – تعال.
هكذا كانت تتوالى نوبات القلب على ابي. وهو في كل الاحوال يقوم باسعاف نفسه بنفسه بحقن نفسه بحقنة، وكان قد تعود طيلة حياته ان يحقن نفسه عند المرض دون استعانة باحد. يسعف نفسه عاجلا وينجو قبل وصول الطبيب. كنت اصل احيانا الى البيت، وخاصة في الليل، قبل وصول الدكتور شوكة الدهان، فأرى الوالد اما في الفراش، او قد توسد ذراعه على طاولة الكتابة في غرفة النوم ليستعيد انفاسه بعد قيامه بالاسعاف الاولي، لم يكن يقبل مساعدة من احد لايصاله الى الفراش، هو الذي يقوم لوحده ويذهب الى السرير، وبعدها نقوم، انا او غيري، بتدثيره. وحين اتركه يجول ذلك السؤال الحائر في خاطري: هل سينجو هذه المرة ايضا يا ترى!
كان الدكتور شوكة الدهان يصل في كثير من الاحيان ولا يجد ضرورة للقيام بشيء لان الوالد يكون قد قام بنفسه بما ينبغي. فيهمس الدكتور شوكت لي قائلا: لقد انجى نفسه بهذه الاسعافات. وقد تطورت بين الدكتور الدهان وبين ابي علاقة هي اكثر من علاقة طبيب بمريض، واصبحت صداقة حميمة. كان الدكتور الدهان يواصل زياراته اليومية لأبي في دور نقاهته الذي يعقب كل نوبة، فيتحدثان لفترات طويلة تتسم بالانسجام الفكري الواضح بين الاثنين. وكان الوالد يطمئن لاسلوب معالجة طبيبه، لذا فان اعجابه به ومودته له هما نتيجة طبيعية لموقف الدكتور شوكة من مرض الوالد. ذلك الموقف الذي يريح ابي نفسيا والذي الفه طيلة حياته، وهو موقف لا تشوبه المواساة ولا ينطوي على التخفيف المهني المصطنع الذي يضطر بعض الاطباء الى اظهاره لبعض مرضاهم. كانت اجوابة الدكتور شوكة على اسئلة ابي ليست اجوبة علمية فقط بل كانت تتصف بتطوير الموضوع الى نهايته المنطقية. فاذا قال الوالد لقد اصبت ليلة امس بارق فما العمل؟ اجاب الدهان: لا ضير من الأرق لأنه اذا ما تعب الجسم نتيجة للأرق فان الجسم سيطلب النوم. كما كان الدكتور ينصح ابي انه ما ان يحس ببدء النوبة حتى يسرع فورا الى حقن نفسه ولو من خلال قماش البنطلون، فلا قيمة للالتهاب اذا ما حدث بعدئذ.
واخذت الاحاديث بين المريض والطبيب في تلك الليالي والايام تتناول لبس الطب فقط بل السياسة ايضا وشؤون الحياة العامة.

الدكتور شوكت الدهان

لكن الذي كان يحير الدكتور الذهان هو دقة ابي وحرصه الشديد في اتباع اسلوبه الخاص بحفظ شرائط فحص القلب بنفسه. وحتى اذا اجري له التخطيط وهو في الفراش فانه يصر على القيام بعد ذلك بقص الشرائط ثم لصقها وترقيمها بنظام واضح. فاذا ما اعترض الدهان على نهوضه من فراشه اجابه الوالد: لا تتدخل بشغل غيرك. او: انا اعرف شغلي. وكان الدهان احيانا يقوم بهذه العمليات ووالدي يراقبه من فراشه، ثم ينهض فجأة غير راض عن عمله، والطبيب يمنعه وهو لا يبالي وتحدث شبه مشادة لا يبالي بها ابي ولا يرتاح بانه الا اذا قام بالعمليات المختلفة بنفسه كما يريدها فيكتب الارقام الرومانية، بالحبر الاسود، وبريشة عريضة جداً، وبكل هدوء وعناية، دائما.
في هذه الاثناء كان الوالد قد خصص لنفسه ذلك السجل الشخصي الذي لا يباح لاحد الاطلاع عليه، او هكذا كان المفترض والذي احترم ككل شيء مفترض يسنه الوالد لنفسه. ذلك الدفتر الاسود الذي ولد في خضم الالم، والذي كان يسجل فيه نوع الحقن وعددها وغيرها من الادوية التي يتعاطاها اسعافا وعلاجا للنوبات سواء اثناء الاصابة او في فترة النقاهة اللاحقة. وفي عين الوقت كانت تتعمق العلاقة الودودة السائدة بين ابي وشوكة. كنت الاحظ على الاثنين معا الاعجاب العميق والود الصميم، بل والفرح بالملاقاة والمؤانسة بها. كان الوالد لا يخفي رغبته بتكرار الزيارات، وكان شوكت بدوره لا يتردد في الاكثار من زياراته منتهزا كل فرصة علاجية يتيحها المرض، او اي فرصة غيرها! كنت الاحظ ايضا وكان تلك اللقاءات تتم في خلفية مدفوعة دفعا الى اعماق كل من الطرفين فتظل سرا لا يطفو الى السطح لكنه في نفس الوقت كالسر العلني، وهي خلفية التساؤل الخفي والمرير: الى متى سيدون هذا العذاب؟ كنت انا نفسي اسأل هذا السؤال، بل كنت اسأله صراحة من الطبيب المعالج والصديق معا وانا اعلم ان سؤالي لاجدوى منه ربما سوى الرغبة في الكلام عن شيء عزيز لا اريد ان يختفي وما في مثل ذلك الكلام الاجوف من راحة نفسية في بعض الاحيان. كان الدكتور شوكة يجيبني على سؤالي قائلا: لقد اخبرت والدك انه اذا ما التزم بتعليماتي وطبقها فانا اعده بانه سيعيش عشر سنوات اخرى. والدكتور شوكة قال هذا لوالدي في اوائل سنة ١٩٥٩ وقد صح وعده.
لم يكن الوالد خلال معاناته الطويلة ليقبل مؤاساته على المه من اي احد من افراد الاسرة، وكنا نحن كذلك نحترم هذه الرغبة فيه ولا نسمح لانفسنا ان نواسيه، بل يمكنني القول اننا كنا ندرك ان المصيبة هي اكبر من ان يخفف عنها بطريقة الكلام المنطوق. حتى الوالدة كان يقتصر كلامها معه على سؤال من قبيل: هل نمت زين؟ او يبادرها هو بقوله: نمت اليوم زين. او: هاليوم احسن.
اكثر من هذا انه كان في اليوم التالي للنوبة يترك سريره مخالفا رأي الطبيب ويخرج من غرفة النوم ليجلس في غرفته، فلم نكن نطلب منه عكس ذلك تلبية لرغبته. اذ قد حاولت الوالدة ذلك كما حاولته انا، كما طلب منه الدكتور شوكة مراراً عدم ترك الفراش لكن موقف الوالد كان ثابتا على الدوام ويتخلص بان الامر يعود اليه ولا يريد من احد التدخل في شؤونه. وكنت ادرك ان ابي انما يرجع بهذا الى نقطة مبدئية واساسية لديه وهي انه لا يريد ان يصيب مركز دلال، وان كل الذي يطلبه من العائلة والاصدقاء هو التقيد بمتطلبات عملية محددة ليس فيها صفة العطف.
وبعد ان اخذت النوبات القلبية تتوالى على ابي بوتيرة اسرع فقد اخذ يحقن نفسه بحقن مهدئة، وادمن عليها. كان ذلك ما بين ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ودام الأمر لمدة سنة تقريبا. فاذا باوراق الدفتر الاسود تمتليء الواحدة بعد الاخرى بتسجيلاته المتواصلة، الدقيقة والمنتظمة، وهو في صراع عنيف بين ارادته القوية التي احتملت الكثير واعانته على الدربة على الاعتدال في كل شيء في حياته، وبين الألم الممض الذي ينتابه عند النوبات فيركن الى الحقن للتخفيف منه. وبينما هو في هذه الدوامة الرهيبة من نوبة قلبية فألم ممزق فحقنة مهدئة اذا به يستفسر رأي الطبيب الذي يوده ويطمئن له ويعتمد عليه عن هذه الدولة الخانقة التي يدور هو وارادته فيها، فيؤكد له الطبيب – الصديق انه لا ضير من استعماله للحقن. والوالد يرفض فتتغلب ارادته في هذا الصراع حينا وتخونه حينا، والدفتر الاسود تقلب صفحاته يوميا وتملأ بتسجيل جديد. ويستمر في هذه الدوامة. وبعدها، وعلى حين غرة، ورغم تكرار النوبات اسبوعيا بل وبوتيرة اقصر من الاسبوع في بعض الفترات فانه اخذ يرفض النوبة على وجودها المتكرر، بل ويرفض الالم على معايشته له. فاذا به ما ان اصيب بنوبة ليلا يجرجر نفسه من الفرش صباحا ويقوم بالحلاقة ويرتدي ملابسه وقد اصبحت كبيرة الحجم عليه ومتهدلة لما اصابه من نحول، ويذهب الى غرفة المكتبة ويجلس على كرسيه ويستقبل الضيوف كأن شيئا لم يحدث قبل اقل من اثنتي عشرة ساعة، مع فارق واحد هو خفوت صوته بسبب الضعف العام في قوته البدنية.
كان ذلك اشبه شيء بالعناد في مواجهة الموت، وهو الصورة الاخرى ربما لتقديسه لحرمة الحياة ذلك التقديس الذي لايعرف اليأس. عناد لا يشي بالخوف اذ اتذكر قوله لي قبل سفري الى بيروت اثناء مرض العم رؤيف الذي مات فيه، اتذكره يقول: رؤوف يهاب الموت.
كما اتذكر ما قصه عليّ عن طفولتي الاولى وانا لم اتجاوز السنة من العمر: واصابني مرض اعيى الطبيب المعالج الذي اعلن ان من العبث الاستمرار في المعالجة وان لا مجال لانقاذي، لكنه لم يعرف اليأس امام الحياة فذهب ليلا يبحث عن طبيب آخر اوصى به الطبيب المعالج، لمجرد ان الأب المتشبث بحياة الابن لم يقتنع ان الحياة تنتهي هكذا بسهولة. ذهب ليلا يفتش في النوادي عن ذلك الطبيب الانكليزي (الدكتور ميلز) فيجده ويأتي به فيقول الانقاذ ممكن عن طريق حقن دم اضافي. ويذهبان سوية بعد منتصف الليل الى المختبر ويعملان سوية على تهيئة الدم ثم على الحقن الى ان اشفى، تقديس للحياة لا يعرف اليأس.
وهكذا، ثم اذا بأبي يعود مرغما نفسه على لبس اساريره المعتادة، ويجتمع ببعض اعضاء الحزب القدامى لكتابة تاريخ الحزب مع التخطيط لوضع كتاب آخر ويعود الى اجتماعاته المؤنسة بنا وبالاصدقاء فيسودها الكثير من المزاح والدعابة، وذات يوم قال لبلقيس:
سأعطيك البوم صور عملته لطفولة رفعة. رفعة متماهل وغير قادر على الاحتفاظ به. اريد منك انت ان تحتفظي به.
وكان كما لو انه يعطيها شيئا يعتز به كثيرا، ثم انه لم يرد بقوله التقليل من تقييمه لي لكنه كأنه اراد ان يقول له باسلوبه هو دون التفوه بالكلمات خذي هذا..
وإنسي مزاجي القاسي معك...

كامل الجادرجي

عن كتاب (صورة أب)

تسميات القوات العثمانية في الموصل

ازهر العبيدي

وجدت في مدينة الموصل خلال فترة الحكم العثماني (١٥١٦ – ١٩١٨) أنواع متعددة من القوات العثمانية، عرف منها في أواخر القرن السادس عشر الميلادي نظام (الإنكشارية) أو (الينكجرية)، والكلمة الأخيرة تركية تعني (الجيش الجديد)، وتتألف من مقطعين (يني) أي جديد أو محدث، و(تشري) بمعنى جيش أو جند أو عسكر(١). ونظام الفرسان الإقطاعيين الذي يعرف بـ(السباهية) مفردها (سباهي) أي فارس، ويعتمد هذا النظام على تجنيد الإقطاعيين مع فلاحيهم للقتال إلى جانب الإنكشارية، وبموجبه قسّمت الأراضي الزراعية إلى وحدات مختلفة الدخول والمساحات، وخصّت ما تجبيه منها من ضرائب متنوعة بالفرسان الذين شاركوا في احتلالها كلاً بحسب أهمية منصبه، إذ يطلق على الوحدات الصغرى اسم (تيمار)، والوحدات الوسطى اسم (زعامت)، أما الوحدات الكبرى فتسمى (خاص) وتمنح لكبار القادة أو الوالي نفسه(٢).

ويحصل الضابط المسؤول عن التيمار على ٩٩،٩٩٩ آقجة (وهي مسكوكة عثمانية من الفضة) راتباً سنوياً، والضابط الأعلى المسؤول عن (زعامت) على ١٩٩،٩٩٩ آقجة، وتزيد واردات (خاص) على ٣٠٠،٠٠٠ آقجة(٣). وكان على صاحب الإقطاع (السباهي) أن يؤدي الخدمة العسكرية للدولة مقابل تمتعه برسوم إقطاعه، فيذهب إلى ميدان القتال لوحده مع تابع مسلح كامل العدة، فإذا ما زاد دخل الإقطاع عن المبلغ المحدد أعلاه أعفي صاحبه من الذهاب إلى الميدان ويرسل أتباعه المسلحين بدلاً منه. وفي السلم يتولى أولئك الفرسان إدارة إقطاعاتهم وما فيها من مدن وقرى كحكام مدنيين بحسب تدرج مراتبهم العسكرية، وعلى هؤلاء السباهية والأتباع أن يحافظوا على مستوى تدريبهم العسكري ما دامت وراثتهم للإقطاع متوقفة على مقدار ما يمكن أن يقدموه إلى الدولة في الحرب(٤).

أما الإنكشارية فيوزعون إلى أورطات أي فرق تتكون كل أورطة من ٣٠٠ – ٥٠٠ شخص من المشاة حاملي الأسلحة الخفيفة من السيوف والخناجر والقسي والسهام ومن بعدها البنادق. ومنهم (الطوبجية) أي المدفعية ومن أسلحتهم طوب أبو خزامة والهاون والباليمز والزنبرك واليان صاجة وقوغوش والمدافع القالعة. و(الأكمكجية) وهم المسؤولون عن التموين والنقل والخدمات الأخرى(٥). وكان المنتسبون إلى فرق الإنكشارية يجندون ويدربون على وفق نظام امتازت به الدولة العثمانية في ذلك العصر، وفيه كانت الدولة تصادر خمس الأطفال الأصحاء من بعض ولاياتها في أوروبا الشرقية فيما عرف بنظام (الديوشرمة)، ثم تدخلهم في مدارس خاصة يلقنون فيها الثقافة الإسلامية والتدريب على الخدمة المدنية والعسكرية، ثم يختار المتميزون منهم في فنون القتال لينظموا في الأورطات (تتألف الأورطة من ثلاث كتائب). ويقيم هؤلاء على الأغلب في ثكنات محصّنة تدعى (قشلة)، أو في الأحياء السكنية نفسها كما كان في الموصل إذ لم تكن لهم ثكنة أو قشلة في السابق. ويعد منصب القائد العام لأورطات الإنكشارية (أغا الينكجرية) في المدينة هو المنصب العسكري الأعلى فيها، ويرتبط بالوالي من جهة وبالقائد العام للإنكشارية في اسطنبول، ويتقاضى الإنكشارية رواتبهم نقداً من خزينة الولاية(٦).

ومن القوات الأخرى (اليرلية) أو (البراطلية) وهم مشاة أيضاً يتشكلون من قوات (القابي قول) وعناصر متطوعة محلية تسعى للحصول على الامتيازات. و(القابي قول) أي عبيد الباب وكانوا يرتدون (القالبالق) وهو غطاء خاص للرأس، وهم عساكر السلطة النظاميون المرسلون من اسطنبول لدعم الوالي والسلطة،

ومن الطبيعي أن يحدث صدام بين هاتين القوتين لتضارب مصالحهما(٧). و(الدالاتية) أو (الدلجة) نوع آخر من القوات المرتزقة من المشاة تعود أصولهم إلى الأناضول وكرواتيا والبوسنة والصرب، و(دلي) كلمة تركية تعني مجنون أو متهور وهي الصفة التي عرفوا بها. ولم تكن الدولة تدفع لهم رواتب محددة بل كانوا يتعيشون في عرض خدماتهم عليها وتنفيذ بعض المهام التي تكلفهم بها، ومن الغزو والسلب في بعض الأحيان(٨). فضلاً عن قوات قبلية دائمة من زبيد وربيعة وطي والعبيد والعزة والجنابية والمنتفق وبني لام وغيرهم(٩).

أما قوى الأمن الداخلي فقد كان للوالي قوة خاصة به تعرف بـ(التفنكجية) وهم حاملو البنادق، ومهمتهم حفظ الأمن والقيام بأعمال الشرطة. وانحصر منصب رئيس هذه القوة وراثياً بأسرة (آل شويخ) وآخر من تولى هذا المنصب فيها هو (عمر أغا) وعرفت الأسرة ببيت عمر أغا لحد الآن(١٠) ومن أحفاده اللواء الركن سعد الله الطائي قائد الفرقة الرابعة الأسبق. وفي أواخر القرن التاسع عشر قدّر عدد (الجندرمة) و(الضبطية) (وهو الاسم الجديد للتفنكجية) بأكثر من (٤٠٠) فرد، ونظمت على هيئة (استراسوار) أي الخيالة و(البيادة) وهم المشاة. وتكمن واجباتها في حماية الأمن وتوفير الطمأنينة وجمع المسوقين للخدمة واستدعاء الاحتياط وجمع الضرائب وحماية قوافل المسافرين ومطاردة قطاع الطرق وحراسة السجون. ولم تكن هذه القوة متقيدة بالنظام ويديرها ضباط أميون، ولا تدفع لهم المرتبات الشهرية بانتظام، ومعظم أفرادها كانوا مراسلين وجباة للضرائب وخدم للموظفين الكبار، وليست لهم المقدرة على مطاردة اللصوص والمرتشين، لذلك غلبت الفوضى واضطراب الأمن والرشوة على أعمالهم(١١).

وفي النصف الأخير من القرن السابع عشر الميلادي وأوائل القرن الثامن عشر ضعفت المؤسسة العسكرية العثمانية بسبب ضعف السلطة المركزية للدولة وفقدان الضبط الروحي والعسكري للقوات مما ساعد على انخراط العراقيين من سكان المدن من الحرفيين والتجار في المؤسسات العسكرية بعد أن كان ممنوعاً في الفترات السابقة، واستطاعت قوى اجتماعية موصلية التغلغل في مؤسسات السباهية، كما تمكنت جماعات أخرى أن تنفذ إلى نظام الإنكشارية نفسه إذ لم يبق في أورطات الإنكشارية الخمس إلاّ سكان الموصل أنفسهم ولذلك هناك أسر موصلية تحمل لحد اليوم ألقاب وتسميات قادة هذه القوات مثل: بيت ألآي بكي وبيت اللاوند وبيت السباهي فضلاً عن الجندرمة والجاويش.

وخلال عهد الولاة الجليليين (١٧٢٦ – ١٨٣٤) كان في الموصل خمس أورطات (أوننجي، يكرمي يدي، أوطوزبير، اللي أيكي، اللي سكز)، وشهدت الموصل قتالات عدة (قوغات) بين بعض هذه الفرق، منها المعارك الطاحنة التي دارت بين محلتي الميدان وباب العراق (تلفظ محلياً باب عغاق) اللتان كانت تسكن فيهما فرقتي أوطوزبير ويكرمي يدي(١٢). وبذلك طغى نظام الأصناف التي ينتمي إليها هؤلاء على التنظيمات العسكرية العثمانية، ففقدت هذه المؤسسة طابعها وأهدافها في الضبط والدقة في تنفيذ الأوامر، ولم يعد قادتها (الأغوات الإنكشارية) يستجيبون لأوامر الولاة إلاّ فيما يحقق مصالحهم(١٣).

لذلك دعت الحاجة في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي إلى إلغاء هذه المؤسسات القديمة وإحلال مؤسسات عسكرية قوية، وأنشأ والي بغداد حسن باشا مدارس عسكرية ضمّت عدداً من أطفال المماليك المجلوبين من خارج البلاد، فضلاً عن عدد كبير من أبناء الأسر العراقية الكبيرة. ويلحق المتخرجون بعد إنهاء دراستهم وتدريبهم بصفوف ما يعرف بأغوات الداخل (إيج أغاسي) أي الضباط العاملين تحت إمرة السراي مباشرة، ويتولى قيادتهم في حالات السلم (الخزندار) أي الضابط الموكل بالحسابات، كما يتولى هذه المهمة في أثناء الحروب (السلحدار) أي حامل السيف ومحافظ الأسلحة وهو ضابط برتبة كبيرة. وفي أواخر القرن الثامن عشر نجح رجال هذه المؤسسة في تشتيت بقايا الأفواج الإنكشارية(١٤).

وزاد من قدرات هذه القوات رفدها المستمر بالعديد من الأفواج التي عمادها المتطوعون من السكان، وكان يتم اختيارهم على أساس كفايتهم في استعمال السلاح، ولم يكن لهذه الأفواج صلة إدارية أو مالية أو عسكرية بالدولة العثمانية، ومن هذه الأفواج (اللاوند) وهي جملة أفواج أنشأها الوالي حسن باشا وخصص لهم الرواتب من خزينة الولاية، وبنى لهم ثكنة ضخمة عرفت بـ(خان اللاوند). وربطت هذه الأفواج بالقيادة العسكرية للجيش الجديد المؤلف من خريجي المدارس العسكرية، وكان عددهم يتراوح بين ١٠٠٠ – ١٥٠٠ فارس مسلح(١٥). و(السكمانية) وهم الفرسان من حملة البنادق، ويتميزون بكفايتهم العالية في استعمال السلاح الناري وحسن التصويب.

وفي سنة ١٨٣٥ شهدت الموصل أول محاولة للتجنيد الإلزامي في العراق ثار بسببها الأهالي ورفضوا تطبيق القانون العسكري، وللحد من ثورتهم أرسل الوالي إليهم المدعو (قاسم أفندي) ليدعوهم إلى الطاعة فقتلوه. وبقتله أحضر محمد اينجه بيرقدار عشرين مدفعاً وصوبها اتجاه المدينة وأرسل بعض الكتائب النظامية فدخلوها وسفكوا دماء الأبرياء من الأهالي ونهبوا أسواقها. وكانت الخدمة العسكرية محصورة بالمسلمين من التبعية العثمانية، أما غير المسلمين فيدفعون البدل النقدي، وبعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ عدل قانون التجنيد وشمل جميع أفراد الدولة العثمانية بدون استثناء(١٦).

وبعد سنة ١٨٤٨ شهدت الموصل محاولة لتنظيم الجيش إذ تم إعلان تشكيل الفيلق السادس، وأصبحت مدة الخدمة العسكرية عشرين سنة تبدأ من سن العشرين للفرد وحتى سن الأربعين، وتشمل خدمة نظامية إجبارية مدتها أربع سنوات ثم قلصت إلى ثلاث سنوات، وخدمة رديفية أو احتياط مدتها ست سنوات ثم أصبحت ١٢ سنة، وخدمة مستحفظة مدتها ثماني سنوات وهي تكملة للرديفية، وبذلك يقضي الفرد غرة شبابه في هذه القوات وقد يقتل في أحد المعارك المتواصلة خارج وطنه. وكانت في الموصل الفرقة (٣٤) مشاة من الفيلق السادس، ويتبعها اللواءان (٤٧ و٤٨). وأدخلت تعديلات في نظام الجيش سنة ١٩١٣ اتخذت فيها الموصل مقراً للفيلق الثاني عشر المكون من الفرقة (٣٥) ومقرها في الموصل، والفرقة (٣٦) ومقرها في كركوك. وعانى أفراد الجيش من تدني الأوضاع الاقتصادية والمعاشية، إذ كان ما يتقاضاه الجندي في الشهر لا يزيد إلى ثلاثة قروش، وفي بعض الأحيان لا يستلموا الرواتب لمدة تزيد عن سنة(١٧).

عانى الموصليون من نظام التجنيد الإلزامي العثماني معاناة كبيرة، وفقدت الأسر الموصلية عدداً كبيراً من أبنائها في الحروب العثمانية بعيداً عن أرض الوطن، إذ سيق الآلاف من الشبان إلى جبهات الحرب الروسية في القفقاس التي سميت بـ(السفر بر)، ومات العديد منهم بسبب البرد القارص والثلوج فضلاً عن الإنهاك والجوع وتردي الخدمات الإدارية. وكان نظام (القرعة) المتبع في ذلك الحين من أسوأ نظم التجنيد، فقد كانت الواسطة والرشوة تتحكم في اختيار الجنود المكلفين، إذ كانت الطريقة المتبعة أن تجرى القرعة بين المواليد المقرر سوقها للخدمة، فتقع القرعة على من لا يملك الأقارب المتنفذين أو المبلغ الذي ينقذه من الموت في خدمة الدولة المحتلة. وفي ولاية نامق باشا الكبير الثانية (١٨٥٩ – ١٨٦٧) أمر بإلقاء القبض على السراق وشاربي الخمر والعاطلين وتجنيدهم وإرسالهم مخفورين إلى البصرة ثم إلى اليمن بحيث أصبحت الخدمة العسكرية عقاباً بعد أن كانت شرفاً وفخراً).

اللواء بكر صدقي في مكتبه عام ١٩٣٦ بعد قيادته لاول انقلاب عسكري في العراق

دبابات الجيش العراقي في الثلاثينات

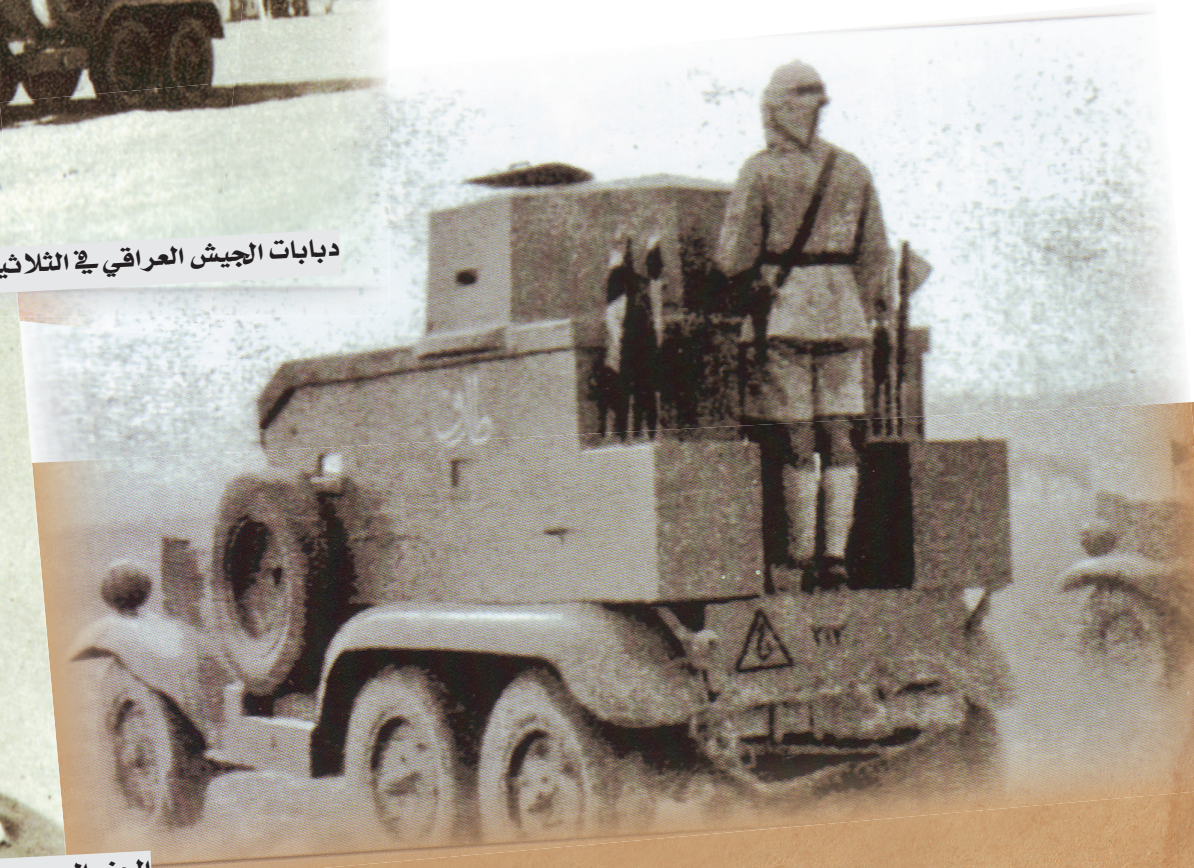

الجنرال محمد علي جواد قائد القوة الجوية

بعد الانقلاب نزل الجيش الى الشوارع وفرض سيطرته على مختلف نواحي الحياة والصورة في يوم ٢٤-١١- ١٩٣٦

الفريق
جعفر العسكري

ياسين الهاشمي
رئيس الوزراء
الذي وقع عليه
الانقلاب

عزيز جاسم الحجية في لقاء صحفي نادر

ضابط.. رياضي.. يجمع الفولكلور على مدى ربع قرن

رشيد الرماحي

ثلاث محطات ينبغي التوقف عندها طويلا اذا اريد لحديث عن الضابط السابق والرياضي المتقاعد والكاتب الفولكلوري المعروف عزيز جاسم الحجية الذي ما زالت ذاكرته تختزن الشيء من موروثنا الشعبي وبشكل خاص ما كان يتداوله البغداديون في احاديثهم وجلساتهم واللهجة والامثال الشعبية التي كانت سائدة انذاك.. حين كنت اتحاور معه استعدت من خلال الحجية بغداد الامس واليوم كما جاء في اول كتاب اصدره على شكل قصة تمثيلية ضمت معظم الامثال العامية..

رياضي ومحارب!

× بدءاً نقول ان الحجية ولد في بغداد بمحلة (حمام المالح) سنة ١٩٢١ وختم القرآن عند (لالة ابراهيم) اكمل الابتدائية في مدرسة الفضل والمتوسطة في الغربية ليكون بعدها احد طلبة الدورة الاولى للثانوية العسكرية سنة ١٩٣٨ وليندرج بحياته العسكرية حتى رتبة عقيد احيل بعدها على التقاعد.

× قال لي الحجية: في سنة ١٩٤٨ كنت ضابط العاب. وعندما اندلعت الحرب في فلسطين تقدمت بطلب الى مديرية الادارة بوزارة الدفاع لنقلي الى الوحدات المقاتلة في فلسطين وتحقق حلمي حين اديت واجبي الى جانب زملائي من رفاق السلاح.

× ولماذا اتجهت نحو العسكرية؟

– لانني تأثرت بابن عمتي الشهيد نعمان ثابت عبد اللطيف اذ كنا نسكن دارا واحدة فغرس في نفسي حب العسكرية وهواية الادب، فقد كان رحمه الله ضابط ركن ممتازا وشاعرا مطبوعا ومؤرخا موثوقا له ديوان طبع بعد استشهاده باسم (شقائق النعمان) وكنت اسهر معه وهو يقرا ويكتب، ولما تقدمت بالدراسة اخذ يكلفني بتبييض مسوداته فتحسن خطي وزاد حبي للادب، وكثيرا ما كنت ارافقه عند ذهابه الى سوق السراي لنقل الكتب من مكتبة المثنى الى البيت وبالعكس، كما تاثرت بالمرحوم خالي عبد الستار القره غولي الذي كان يوجهني لحفظ الشعر فحفظت في حينه المعلقات وقصائد كثيرة من شعر المتنبي والبحتري، وكان يشرح لي معاني بعض الابيات التي يصعب على معرفتها يومذاك.

× وما بين العسكرية وحب الادب والفولكلور، كنت رياضيا؟

– هذا صحيح فقد احببت الرياضة وماسرتها، وكنت ضابط العاب في القوة الجوية دخلنا في مباريات مع الحرس الملكي وتغلبنا عليهم عدة مرات، ومازلت حتى الان امارس السباحة كنوع من الرياضة التي تتناسب وسني واعمل في اللجنة الاولمبية العراقية كمدير ادارة لتعيدني الى الحياة التي احببتها العسكرية والرياضة والادب.

٤٠٠ مثل وكناية!

× نعود الى بداية حياتك الادبية حين اصدرت اول كتاب لك جمعت فيه الامثال الشعبية وكدت تتخصص في الفولكلور العراقي؟

– احببت الامثال الشعبية البغدادية لانني اراها مرآة تعكس صور المجتمع، فجمعت طائفة كبيرة منها منذ سنة ١٩٤٣ قدمتها مخطوطة، كهدية متواضعة الى المرحوم اللواء الركن عبد المطلب الهاشمي حيث علمت بانه سبقني – الى جمع الامثال، ولكن الطبيعة لم تعنه على اخراجها الى حيز الواقع فقد اغرقتها سيول دجلة يوم اغرقت معسكر الرشيد وكان المرحوم حينذاك معلما في كلية الاركان وقد غرقت مع ما غرق.

ولما كانت الامثال الشعبية تحمل صفات ابائنا واجدادنا، وقد اطلقوها في احوال خاصة مازال البعض منها ينطبق على احوالنا الان اليت الى نفسي ان اعيد جمعها، فجمعت طائفة كبيرة منها.

قدمتها بحلة جديدة هي كيفية استخدام تلك الامثال.. مظهرا معناها وطريقة استخدامها، فوضعت تمثيلية شعبية تعالج مشكلة اجتماعية بحتة كثيرة الوقوع في وطننا العزيز وقد ضمنتها زهاء ٤٠٠ مثل وكناية وقد اسميتها (المايوني يغرك) (هذا ملخص ما جاء في مقدمة الطبعة:

الاولى من كتابي الاول في ١٩٥٨/١/٢٢) قدم لها المرحوم الدكتور العلامة مصطفى جواد والسيدة اميرة نور الدين.. فظهرت الى الاسواق في حينها في طبعة متواضعة على ورق اسمر (ورق جرائد) فلفتت الانظار الى الادب الشعبي يومذاك.

نبوءة للدكتور جواد..

× واذكر في هذا المجال قصة لقائي بالمرحوم العلامة مصطفى جواد في المجمع العلمي العراقي، وكنت اتمنى ان اراه ليراجع مسودات كتابي الاول ويذيله بتوقيعه وقد تم لي كل ذلك عندما دخلت عليه بملابسي العسكرية في مطلع عام ١٩٥٨ باحدى غرف المجمع وكان مستغرقا في مراجعة كتاب، فاديت له التحية العسكرية التي كانت بمثابة احترام لعلمه ولالفت نظره الي فترك ما كان بيده ونظر الي مليا وانا اقدم له نفسي ومسودات كتاب فشجعني على هذا الاتجاه، واكد ان العسكري لابد ان يكون مثقفا يكتب ويناقش ويصدر مؤلفات كما هو جار في الخارج.

وفي تقديمه لكتابي قال: (الامثال العامية هي احدى نتائج السيرة الاجتماعية للامة في العصور التي تلت زمان الكلام الفصيح والكلام الصحيح، وهي فطنة لكثير من العادات والاحوال العامة، والاحوال الخاصة واحداث التاريخ وحوادثه ولذلك كان تسجيلها واجبا من الاواجب التاريخية الادبية).

× وعندما يصل المرحوم مصطفى جواد الى الامثال العامية البغدادية يقول:

– لقد سلك الاستاذ عزيز جاسم الحجية طريقة جديدة الى تسجيل الامثال العامية البغدادية، وهي طريقة جميلة سيلمها القارئ عند قراءته هذه القصة الاجتماعية

مع اكرم فاضل وعبد الحميد العلوجي وباحثة روسية

الحسنة التي ركب عليها الامثال في اثناء الحوار، ونامل ان يتوفر على جمع حكايات الامثال البغدادية فيما يستقبل من زمانه.

× وهل تحققت نبوءة العلامة مصطفى جواد؟

– تحققت فعلا من خلال كتابي (بغداديات الذي صدر عام ١٩٦٧ وهو تصوير للحياة الاجتماعية والعادات البغدادية خلال قرن واحد. وقد قامت بطبعه مديرية الثقافة والفنون الشعبية بوزارة الاعلام.. وهو يقع في اربعة اجزاء. الاخير منها سادفعه للطبع في المستقبل القريب وهو يتضمن الازياء الشعبية البغدادية ، من العابنا الشعبية، عقائد وعوائد سواليف وبكائيات وغيرها.

× وكتبك الاخرى؟

– انها عديدة وفي مختلف المواضيع فعندما كنت ضابطا اصدرت مجموعة كراريس من بينها (الاشتباك القريب) ١٩٥٠ (السباحة فن ومتعة) ١٩٥٩ (ارم لتقتل) ١٩٥٢ (اقتل لئلا تقتل) ١٩٥٥ (انوار كشافة على سباحة المسافات الطويلة) ١٩٥٦ (مع ابطال هذه المسافات) ١٩٥٧ الا ان كل هذا النتاج يعتبر لاشيء اذا قيس بكتابي الاول (المايوني يغرك) ١٩٥٨ وبعده جاء (بغداديات) بثلاثة اجزاء صدرت خلال اعوام ٦٧ ، ٦٨، ١٩٧٣ الى جانب (وعد بلفور) ١٩٦٨ و(تمارين البندقية) الذي صدر خلال نفس السنة مع كتاب (الشيخ ضاري قاتل كولونيل لجمن) بالاشتراك مع الاستاذ عبد الحميد العلوجي.

عيادة شعبية ثقافية؟

× يبدو ان نتاجك كان غزيرا خلال عامي ٦٧ و ٦٨ فما سر ذلك؟

– لتفرغي التام للكتابة، ولانني مع زميلي الاستاذ عبد الحميد العلوجي افتتحنا سنة ١٩٦٧ اول عيادة شعبية ثقافية قلنا في كراس الدعاية الذي اصدرناه (اذا كان مالوفا ان يحرس الطبيب صحة المواطن، ويذود المحامي عن الحق المهدور ويواكب المهندس ذوقنا الحضاري.. في حدود الاستشارة والفتوى والاقتراح والتنفيذ فلماذا لا يكون مالوفا ان يستقيم (مكتب العلوجي الوحجية) عيادة ثقافية تنقطع الى خدمة البحث والكتاب؟.. افليس من حق الاديب والمحقق والمؤرخ ان يستطلع هذا المكتب دعما لنتاجه ووقاية من الوهم والخطأ والزلل؟.. انه يقدم عونه لاهل القلم متمرسين وناشئين لقاء اجر زهيد يكفل حياة المكتب، ولا يضر طلاب العون.

× ومع تاكيدنا على الاجر الزهيد.. وغياب الدعم الرسمي للمطبوعات العراقية انذاك فقد فشل المكتب.. وعجزنا عن سداد ايجاره الشهري حتى تخلصنا منه.

بغدادي احب التراث؟

× قلت للحجية.. نعود الى التراث لماذا ولعت به وكتبت عنه الشيء الكثير؟

اجاب:

– جمعت التراث الشعبي البغدادي وتخصصت به لاني بغدادي بالولادة. احب بغداد واعتز بمحلتي و(دربونتنا..) وابناء الطرف، ولانني اشعر بسعادة ونشوة كلما كتبت موضوعا في التراث حيث اتذكر المرحومة والدتي، فاذا ذكرت البيت البغدادي تصورتها امامي وهي تنقل الماء بالسطول الى السطح العالي (حيث كانت دارنا قاطين) لرش السطح الذي كان مرشوقا بالطين (الحري) واذا ذكرت العيد تخيلتها مشغولة بتهيئة عدة عمل (الكليجة) ولوازمها.

وان كتبت موضوع ترانيم الامهات تمثلتها امامي وهي تربت على كنف ابنة اخي وهي تترنم بترنيمتها المحببة:

(نامي وانا اهديلج
والعافية من الله تجيليج)

اما اذا بدأت بكتابة احدى السواليف وجدتها اماي بفوطتها السوداء وكيشها اللماع الذي تندلي (كراكيشه) على جبينها، واذا تطرقت الى الطب الشعبي شعرت بحرارة (العطابة) وهي تضعها على (الفشخة) التي اصابت رأسي ولا زال اثرها ظاهرا حتى الان.

لقد تاثرت بامي كثيرا لانني اصغر اخواني او كما كانت تسميني (بزر الكعدة) وياما سمعت منها ترنيمتها الحلوة:

(بزر الكعدة وبزر الشيب
لو دللته ما هو عيب)

فقد كانت رحمها الله لا ترى الهلال الا بوجه اخي (البكر) المرحوم نجيب وان لم يكن حاضرا وان شاهدت الهلال صدفة فانها تنظر في الماء او المراة او بقطع النقود الفضية وتقرأ بعض الايات القرآنية ثم تبتهل اليه عز وجل ان يحفظ اولادها ويمن على الجميع بالصحة والرزق الحلال معتقدة بان هذا يجلب السعد خلال ذلك الشهر وما زلت حتى الان اتفاءل برؤية الهلال بوجه احدى بناتي كما كانت تفعل امي انذاك، اما اذا سافر احد افراد الاسرة ولو الى اقرب مكان فلابد من سكب (طاسة) الماء خلفه ليعود بسرعة وسلام.

ويحلو لي مداعبتها وانا احمل الفانوس امامها ليلا ونحن في طريقنا الى بيت جدي (والدها) الاوقع في محلة القرغول حيث اقوم (بالصفير) فاذا بها تنهرني صائحة (لتصوفر لتلم علينا الملايكة) اما اذا ذكرت اسم (الحية) ليلا فانها ترتجف من الخوف وانها لا تسميها باسمها بل تسميها (الطويلة) او الحبل.. لذا تراني وقد سجلت ما جاء في (بغداديات) وانا جذلا مسرورا لانني كنت اعيش معظم اوقاتي مع اعز انسان عندي مع امي رحمها الله.

عن ملحق جريدة الاتحاد 1989

الحجية طالبا في المتوسطة الغربية

مع الدكتور مصطفى جواد

القيم الاجتماعية في المحلة

الشوباش وأسماء المحلات قبل أكثر من قرنين

المحلة مجتمع صغير تسوده علاقات تعتمد المعرفة الشخصية أساسا لبلورتها والانتماء إليها هو انتماء تعزيزي يوطد الانتماء إلى الوطن بمفهومه التقليدي الذي يستوعب خارطة الوطن من حيث الحدود الجغرافية والإبعاد السياسية . وكان الأقدمون من العراقيين يتفاخرون في الانتساب إلى محلاتهم من خلال ابراز القيم السلوكية النوعية معلنين عن استعدادهم للدفاع عنها في حالة وجود خطر يداهمها .

لم يكن تفاخرهم لأسباب شخصية ولا من باب عرض العضلات ليظهر فوقها الوشم للادعاء بمجد شخصي وبطولات وهميه كان الانتساب إلى المحلة يعني الانتساب الى الخلق الرفيع والعادات الحسنة كنصرة الضعيف وحماية الجار وإيواء ابن السبيل والمساهمة في الأفراح والأتراح والتبرع بشي عيني كنقود مثلا وخير مثال على ذلك.. الشوباش الذي يقام قبل الزواج بفترة وجيزة وسط الزغايد والبستات الشعبية مثل " فانوسكم عالدرب هو العمة عيوني " كناية عن جمال العروس .

وعلى صعيد المحلة كانت تمارس الحياة اليومية من خلال تجسيد المروءة والشهامة والشجاعة وكرم الاخلاق وطرح الذات الشخصية طرحا نوعيا يسهم في توطيد العلاقات الاجتماعية ويبنيها بمفاهيم اسرية حميمة وكأنما المحلة أسرة واحدة وما لعبات "المحيبس " في شهر رمضان الفضيل وتبادل الزيارات بين محلة وأخرى الأنموذج لهذه الإخوة المبنية على المودة والحب والاحترام والتقدير بكفات متساوية بين محلة وأخرى .

إن هذا الشعور يستمر في التنامي العاطفي وبلورة المشاعر الوجدانية فيوطد علاقات اجتماعية جمة تتحول فيما بعد إلى مفهوم المواطنة بمعناه الشمولي العام وهكذا تتحول تقاليد المحلة إلى ممارسة وطنية تذكي الروح الوطنية وتفرز الغث من السمين في درجة الولاء للوطن ،، التي نحن اليوم بأسس الحاجة للتعامل معها بقيم حضارية عليا تيمنا بقول الشاعر .

ولي وطن الیت إلا أبیعه
ولا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرت به شرخ الشباب منعما
بصحبة قوم أصبحوا في ظلالكا

أن أسماء المحلات تقترن دائما بأبرز الدلالات الزمكانية والشخصية والقبلية وتنسحب عليها لغة النظام السياسي القائم في حينه كما سنرى من كثرة الأسماء التركية في محلات بغداد قبل قرنين سلفت وكالاتي :

١- محلة الشط :

هي محلة ألسنك الحالية التي أصبحت بعد الاحتلال البريطاني مقرا للجيش الانكليزي وكانت قبل ذلك في العهد العثماني مقرا للقنصلية الانكليزية وبعد الاحتلال سكنتها (مس بيل) مهندسة المخابرات البريطانية في العراق وقد أطلقت على دارها اسم "دار العفة" التي كانت تدار منها مجمل مفردات العمل ألاستخباري البريطاني في بغداد والعراق عامة.

٢- محلة السبع أبكار : سميت بهذا الاسم ولاتزال عليه حتى يومنا هذا حيث كان في احد بساتينها بئر ماء علية سبع بكرات للسقي يعود للحاج عبد الرحمن أفندي ابن الحاج محمد جلبي الباججي . باع ربعا منه الي يوسف عزرا بحر بألف قران "سكة محمد شاه"

٣- محلة حمام الراعي : هي محلة الدبخانه فيما بعد .

٤- شريعة الغالبية : وهي شريعة الميدان وقد نسبت هذه الشريعة إلى اسم عشيرة بهذا الاسم كان بعض من منتسبيها يسكن في زقاق منها .

٥- محلة كاتب العربية : وكانت زقاقا من أزقة رأس القرية وكان فيها دير راهبات.

٦- محلة تلال شاه قولي وتكتب أحيانا "شاهقول" وهي محلة جديد حسن بشا والتي مازال البغداديون الذين ولدوا فيها او عاصروها يعرفونها بهذا الاسم وهي مشهورة بوجود سراي الحكومة وساعة القشلة وقد اتخذ هذا السراي مقراً لأول حكومة بعد الاحتلال البريطاني وجزء من العهد الملكي –وهو رمز معماري قديم يتسم بعمق وعرض أساسات الجدران فيه وبه استقرت اول حكومة عراقية في بداية الانتداب البريطاني برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب وشغل فيها السيد طالب النقيب وزارة الداخلية وكان يوصف بالرجل القوى الكريم في ولائمه بعد الدوام الرسمي وكان الى جانب كل وزير عراقي مستشار انكليزي صاحب الحل والربط وراء الكواليس وكان فيلبي هو المستشار الخاص لوزارة الداخلية والذي أصبح وزيرا للداخلية بعد نفي السيد طالب النقيب إلى إحدى جزر المحيط الهندي .

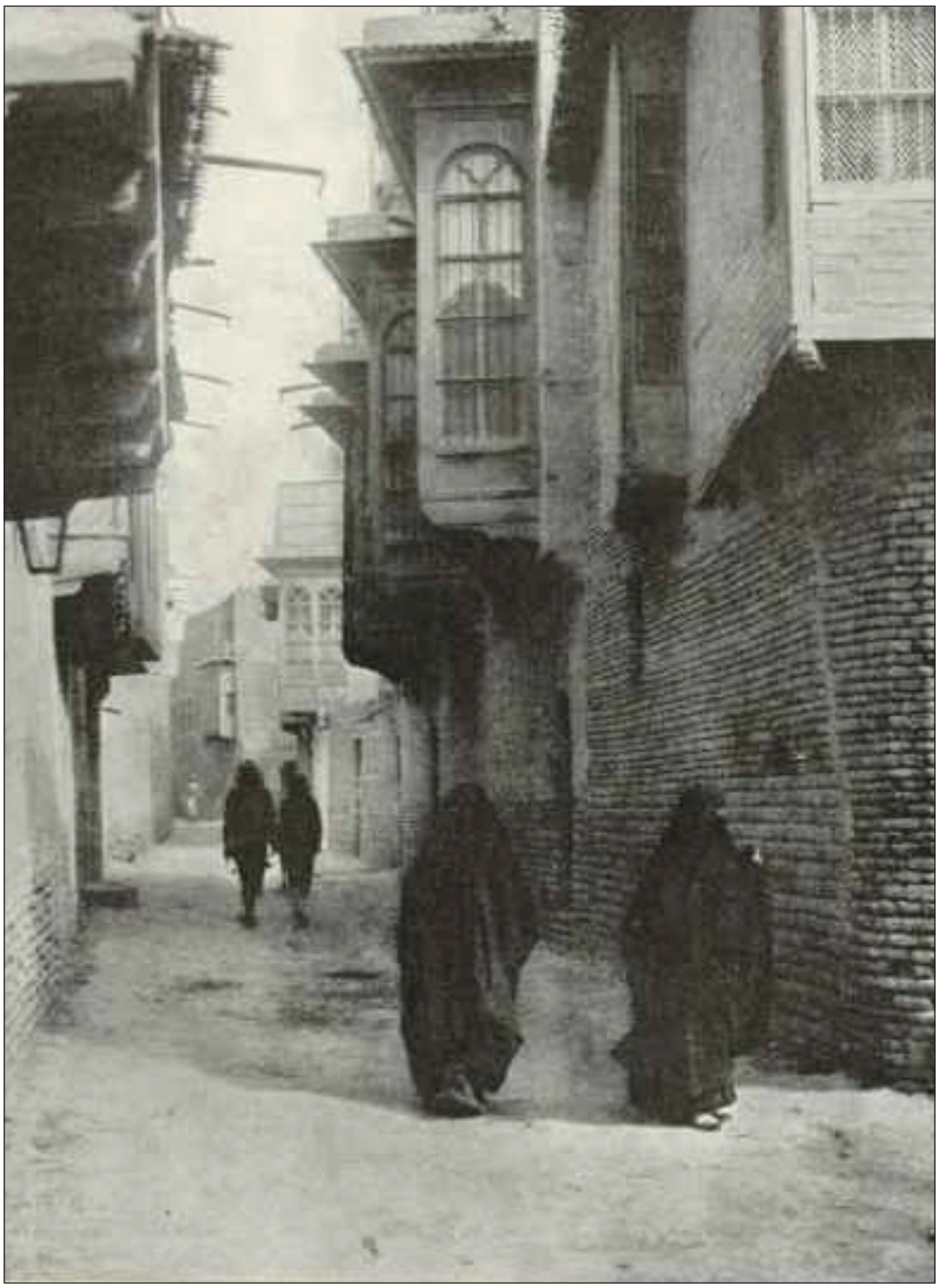

٧- محلة طاق صلال : وهي محلة الحيدر خانة الحالية وكان فيها طاق أزيل فيما بعد وهي مشهورة بجامع الحيدر خانه المنبر الوطني لثورة العشرين حيث كان الملا عثمان الموصلي يلقي منه خطبه الحماسية التي تتحول منطلقاً إلى تظاهرة شعبية تجوب شوارع بغداد هاتفة بسقوط الاحتلال البريطاني وكان المرحوم محمد مهدي البصير يلقي منه غرر قصائده في الوطنية منددا بالاحتلال البريطاني .

٨- محلة التمارة : وهي الشورجة الحالية وكانت مختصة ببيع التمر في محالها .

٩- محلة كموش حلقة محلة سي : أي محلة الحلقة الفضية وسميت فيما بعد محلة خضر بيك حيث انشأ فيها جامعا وهي قسم من محلة قنبر علي.

١٠- محلة خرطوم الفيل : وهي محلة باب الأغا الحالية في شارع الرشيد المأخوذ عنها المثل البغدادي الشهير حار ومكسب ورخيص مثل خبز باب الأغا.

١١- قرانق قبوسي : أي باب الظلمة بالتركي وهي الباب الشرقي الحالي.

١٢- محلة باب سفيد وهي محلة الباب الوسطاني الباقية إثاره في بقايا المقبرة التي تلي الخط السريع وقد رممته بلدية الرصافة في العام الماضي.

١٣- محلة الزر كشي : وهي محلة الكريمات وقد سميت بالزركشي نسبه إلى احد العلماء المدفونين فيها وقد ضم هذا القبر إلى قصر كاظم باشا عند بنائه فيما بعد .

١٤- محلة الباغي والجديد : وهي محلة الدورين حاليا وسميت بالباغي لكثرة البساتين فيها والباغي بالتركي هو البستان .

١٥- محلة القلاعية : هي محلة الفلاحات الحالية .

١٦- محلة القوناقد : هي محلة سوق حمادة .

١٧- محلة مركب الحمير: هي محلة سوق الجديد.

١٨- محلة الياس : هي محلة خضر اليأس وتقع فيها مسناة قصر الخلد العباسي.

١٩- محلة الدهامش : هي محلة التكارتة فيما بعد في الكرخ .

٢٠- محلة الهادرية :هي محلة الجعيفر الحالية.

عندما اصبح التاجر زعيما وطنيا

ومالك بالسلب نوتي وغايته
ان تهدأ الريح حتى تعبر السفن"
"الازري"

في مثل هذا اليوم قبل ثلاث (1945) سنوات حسم الموت بين شعب تحيق بأرضه المطامع الاستعمارية، وتتقاذفه "الادوات" التي يحركها رجال هذه المطامع، وبين زعيم نذر نفسه منذ وطأت قدماه الارض لصد النوائب المتتالية على شعبه بما تمكنه عليه سليقته السليمة، وادراكه الواقعي، وذهنه الذي لايضيق بتقبل كل ما لم تمكنه دراسته الاطلاع عليه، فذرف هذا الشعب ما ادخره من الدموع التي ما بخل بتذرافها في مثل هذه الملمات القاصمة التي وقعت عليه! واغمض "الزعيم" عينيه اغماضة المطمئن الى سلامة ما اسلف من اعمال

عبد القادر البراك
صحفي راحل

وما خلف من دروس، سيفيد منها الشعب في المقتبل من ايامه! وظلت الايام عند وفاة "الزعيم" تسير سيرها الطبيعي بالنسبة الى الكافرين بنعمة هذا البلد والمؤمنين برسالة رجال الاستعمار الذين لايريدون للشعب العراقي – ولجميع الشعوب – ان يستشعر باحقيته فيما يطمح الى نواله من الحقوق. وان يعرف دوره في مستقبل العالم الذي وضحت معالمه، وتفاقمت الاوضاع التي كان يشكو منها الشعب تفاقما يتعارض وطبيعة ما بلغته الشعوب الاخرى من مراتب الديمقراطية ومقوماتها ويصطدم وطموح هذا الشعب الذي جاهد وجالد واثبت جدارته في اكثر من حادثة على النهوض بواجباته على الوجه الذي يدعم فيه الديمقراطية، ويعينه على اداء ما عليه من فروض يتطلبها مستقبل السلام العالمي!

وادرك الشعب بفطرته السليمة، وبفعل ما يكابد من حياة ، تهددت حاضره وعكرت عليه البروق التي تومض بمستقبله عظم حاجته الى زعيم كأبي التمن يستهدي برأيه، ويعمل بتوجيهه ولايتحرج من مواجهته بما يعز عليه مواجهة "المتزعمين الكثر" به، فما هداه "عظم الحاجة" الى لقاء الزعيم الذي يريد ، فتجددت في نفسه مرارة الفجيعة بابي التمن ، واخذ من يوم وفاة هذا وسيظل هذا الشعور على قوته وامتداده رغم الذين فرضوا انفسهم على الشعب، فمنهم من خذلته مطامعه الخاصة، ومنهم من اقعده الجبن، ومنهم من لم يألف الشعب ذرائعه ووسائله في الخدمة! وسيكون هذا الشعور "القبلة" التي يجب ان يتوجه اليها "عشاق الزعامة" ان ارادوها بتبعاتها الثقال واعبائها الجسام، وهمها المرهق، ومرارتها التي لا تزول حتى تنال الامة ما هي بامس الحاجة اليه.على ان هذا الشعور وحده لن ينفع الشعب، ولن ينفع المتطلعين الى الزعامة ما لم يتناولوا حياة ابي التمن بالدرس، وان ينقبوا عن العناصر التي وضعت هذا الزعيم في المكان الذي وضعه فيه الشعب بجدارة واستحقاق، ليسيروا على هديه، وليسلكوا السبيل التي سلك فوصل الى ما صوصل اليه من هذه المكانة التي تنحني لها الرؤوس اجلالا عند تردد ذكراها، ولعرفاننا هذه الحقيقة وجدنا انفسنا ملزمين بان نجلو بعض ما علق بحياة هذا الزعيم من غبار اتخذه الخصوم وسيلة للغض من عظيم ما اسداه لهذه الامة من خدمات.

فقد جلا لهؤلاء ان يروحوا وهماً خاطئاً فاتهموا الزعيم ابا التمن "بالسلبية" ولهم العذر فيما ذهبوا اليه فهم لا يعرفون من "الايجابية" التي يشترطونها في رجل السياسة ، الا الارتماء في الجهاز الحكومي الذي لم ينبثق من السيادة الوطنية.

ولم يهيمن عليه استقلال البلاد هيمنة تكفل له السلامة في اعماله ومقاصده على حين كان ابو التمن، لايقر سياسة الحكومات التي تعاقبت على دست الحكم دون ان يكون للشعب رأي في تبوئها له وفي تنحيها عنه، وعلى حين سارت هذه الحكومات على غير المنهج الذي كان يراه الشعب موصلا اياه الى ما يطمح اليه من حياة سعيدة حر يكلفها الاستقلال، وتعصمها المتعة الشعبية.

وقد فاتهم ان هذا الزعيم كان يستلهم ايجابيته من الشعب الذي لايعرف هؤلاء الساسة مكانه، ولن يسرهم ان يكون له شأن في تصريف البلاد.

ان ايجابية ابي التمن وحدها هي التي امدت عليه يوم كان في المنفى ان يمتنع عن اعطاء "تعهد" للسلطات البريطانية يلزم نفسه فيه بعدم الاشتغال بالسياسة ان اعيد الى بلاده !! على حين تقدم الزعماء الاخرون بمثل هذا التعهد قبل ان تعرضه عليهم السلطات! ولكن يا ترى هل يفر هؤلاء "الزعماء الخصوم" بهذا العمل الذي قام به ابو التمن، فيعتبرونه عملا ايجابيا افهم السلطات البريطانية بوزن الزعامة التي تنبثق من صميم المصالح الشعبية؟!

كما ان ايجابية ابي التمن وحدها هي التي املت على الشعب مقاطعة جميع الانتخابات التي جرت في كافة العهود الي كان يرى فيها ان الضمانات معدومة لأن يقول للشعب كلمته ويعين الاشخاص الذين يراهم جديرين بالافصاح عنه في البرلمان.

وان ايجابية ابي التمن هي التي املت عليه ان يوطد الحياة الحزبية، وان يكون "واسطة العقد" بين الزعماء المؤمنين بهذه الحياة.. فهل يعتبر هؤلاء الحاكمون الذين سموا وما زالوا في سبيل المثل من هذه الحية التي تستلزمها الديمقراطية عملا ايجابياً يتمشى وطبيعة "خط السير" الذي يجب ان لا تحيد عنه الشعوب في كفاحها!!

ان ايجابية ابي التمن قد تمثلت في اكثر صور حياته على اختلافها ولن يغض منها اي تقول ، وستبقى هذه الايجابية مناراً لن تتأنى مقومات الزعامة لاحد ما لم يهتدي به في مثل هذه الظروف التي تجتازها البلاد، كما سيبقى البيت الذي قاله الشاعر الكبير الازري وصدرنا به هذا المقال على كل لسان حتى يخجل الفاشلون من لساسة الايجابيين الذين يصدرون في ايجابيتهم من غير المورد الذي يريده الشعب!

ج. الزمان 20/ 10/ 1948

في حوار نادر مع الراحل قاسم الجنابي

صفحات مطوية من حياة عبد الكريم قاسم

طارق ابراهيم شريف

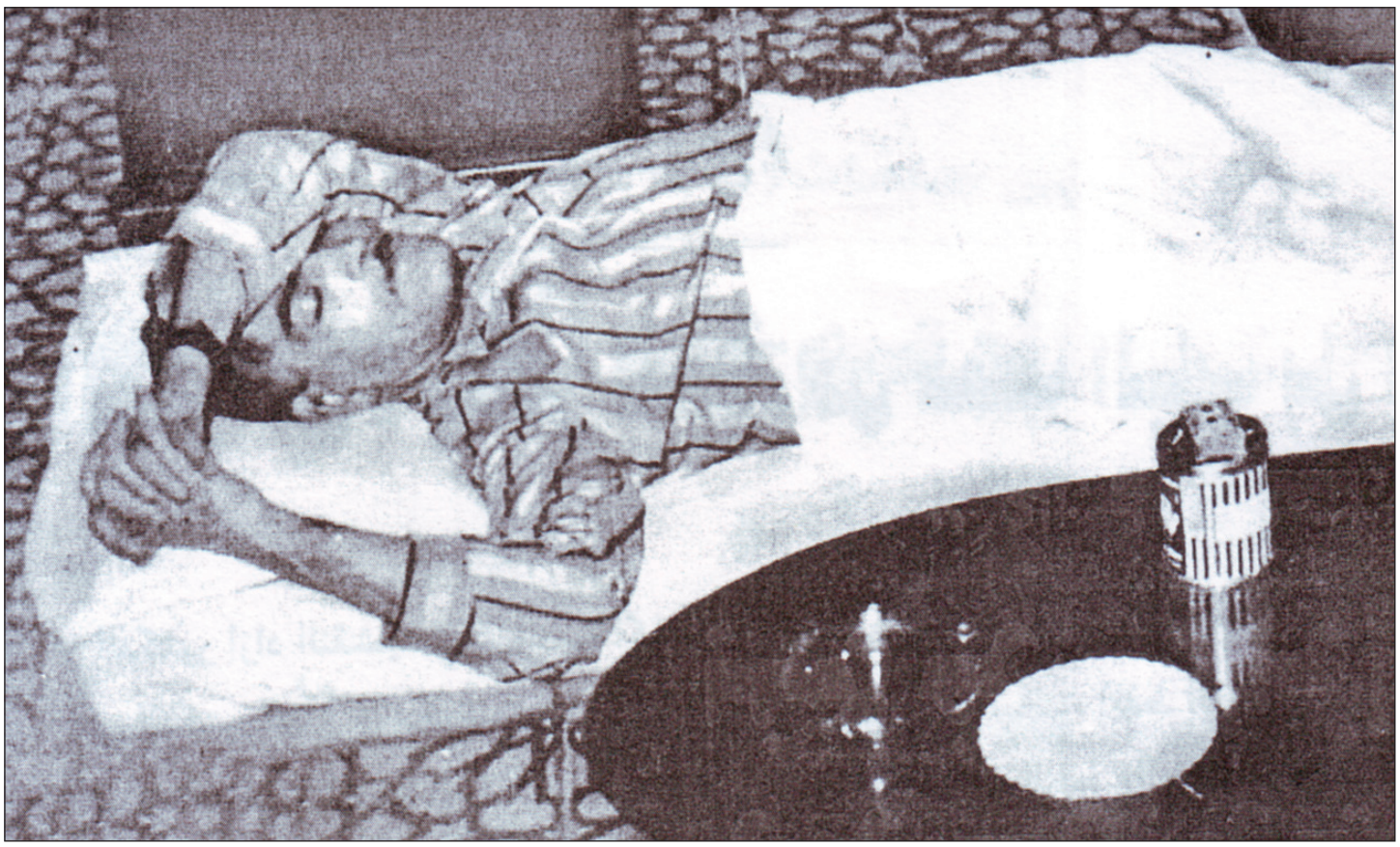

قاسم الجنابي آخر مرافقي الزعيم عبد الكريم قاسم يفتح خزانة اسراره

خلال اجتماعات مجلس الوزراء ليلا كان طعام العشاء يأتي للزعيم ووزرائه من المطاعم الشعبية دون التحسب لأي احترازات أمنية!

يواصل المقدم الركن المتقاعد قاسم الجنابي آخر مرافقي الزعيم الراحل عبدا لكريم قاسم الباقين على قيد الحياة فتح خزانة اسراره ويكشف النقاب لأول مرة عن جوانب هامة من سيرة ومسيرة الزعيم اتيح له الاطلاع عليها بحكم عمله كمرافق شخصي له طوال مدة حكمه للعراق.

وفي هذه الحلقة من الحوار الذي اجريناه معه في داره بحي الضباط في منطقة الزيونة ببغداد، يكشف اسرارا من حياة الزعيم:

× هل لك ان تحدثنا عن بعض الجوانب المجهولة في حياة الزعيم؟

– كانت حياة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم تتسم بالبساطة وتبتعد عن مظاهر البذخ والترف المعهودة في حياة الرؤساء والحكام، وعلى سبيل المثال انه بعد توليه زعامة العراق لم يغير حلاقه الذي كان اسمه عبد الرحمن ومحله في شارع الرشيد قرب ساحة حافظ القاضي، فقبل قيام الثورة كان الزعيم زبوناً قديماً لهذا الحلاق الذي اصله من مدينة مندلي حيث كان يتردد عليه في محله لحلاقة شعر رأسه كلما قدم من جلولاء الى بغداد خلال اجازاته الاعتيادية وبعد قيام الثورة ظل الحلاق

قاسم الجنابي يروي ذكرياته

نفسه يزور الزعيم في مبنى وزارة الدفاع ويقوم بمهمة الحلاقة له هناك.

وعلى ذكر اسم هذا الحلاق فقد كان للزعيم صديق قديم اسمه (حسن التتنجي) يمتلك محلاً لبيع التبوغ قرب محل الحلاق المذكور وكان الزعيم يزورهِ قبل قيام الثورة ويجلس عنده احياناً في محله خلال اجازاته الاعتيادية التي كان يقضيها في بغداد.

وشاء القدر ان يتوف صديقه هذا في يوم ١٨ تموز ١٩٥٨ اي بعد مضي اربعة ايام على قيام الثورةٍ وعندما علم الزعيم بذلك حضر شخصياً مجلس الفاتحة على الرغم من مشاغله الكثيرة والظروف الحساسة التي كانت تمر بها البلاد في تلك الايام.

× وماذا عن نوع الطعام الذي كان يتناوله؟

– كان الطعام الذي يتناوله يعد من المطبخ الملحق بمكتبه في مبنى وزارة الدفاع، وفيما عدا ذلك كان الطعام يأتيه معداً داخل (سفرطاس) من بيت شقيقه حامد او احدى شقيقتيه، اما عندما كان مجلس الوزراء يجتمع ليلاً برئاسته في مبنى وزارة الدفاع وتصادف ان تطول جلسات الاجتماع فقد كان المجتمعون يتناولون طعام العشاء الذي كان احد افراد الانضباط العسكري يقوم بجلبه من احد مطاعم الكباب الشعبية المنتشرة في ساحة الميدان قرب مبنى الوزارة دون ان يدر في خلدنا اتخاذ اي ضوابط او احترازات مانية إذ كان بامكان صاحب المطعم او احد العاملين فيه تسميم الطعام وقتل الزعيم ووزرائه وبالتالي القضاء على الحكومة كلها!!

× ألم تراوده قط فكرة اتخاذ الاحتياطات اللازمة في هذا الجانب؟

– لا أبداً كان واثقاً من حب العراق له ومن شعبيته الواسعة في صفوف الجماهير.

× لوحظ انه لم يرتد الزي المدني طوال مدة حكمه.. ألم يكن ذلك شيئاً غريباً؟

– كان الزي العسكري (الخاكي) هو الزي المفضل لديه واللون الاصفر كان لونه المفضل، وقد قاد ثورة ١٤ تموز وهو يرتدي الزي العسكري ولاقى وجه ربه بالزي نفسه، وعلى ذكر ازيائه اتذكر انني عندما عدت الى العراق اواخر عام ١٩٦٢ بعد ان امضيت في بريطانيا مدة عشرة اشهر شاركت خلالها في دورة الاركان جلبت له من هناك بعض الملابس كهدايا ومنها ملابس نوم كانت مصنوعة من الحرير الطبيعي لكن لم يتسن له ارتدائها فبقيت محفوظة في خزانة ملابسه بجناح سكنه في مبنى وزارة الدفاع، والغريب انه بعد استشهاده في ظهيرة يوم ٩ شباط استغل الانقلابيون ذلك محاولين التشهير به حيث عرضوا تلك الملابس على الصحفيين الاجانب مدعين ان الزعيم كان يعيش حياة البذخ والترف مشيرين الى ان اقمشة ملابس نومه كانت مصنوعة من الحرير!

× حسب علمك ما هي اسباب عزوف الزعيم عن الزواج؟

– ما اعرفه حول هذا الموضوع هو انه عندما كان برتبة مقدم ركن اراد الزواج من فتاة كانت معلمة في احدى المدارس ومن اسرة عراقية معروفة، وكان هو

يومها ضابطا عسكريا ضمن قطعات الجيش العراقي المشارك في حرب فلسطين انذاك، وحسب علمي ان الفتاة المذكورة لم ترغب بالزواج من رجل عسكري تتطلب ظروف عمله الابتعاد عن البيت والاسرة، ونتيجة ذلك أجل هو فكرة الزواج انذاك، اما بعد توليه زعامة العراق فقد انشغل كليا بمسؤولية ادارة البلاد وتخلى عن فكرة الزواج.

× هل كان الزعيم عبد الكريم قاسم يؤدي فريضة الصلاة؟

– نعم وبانتظام لكنه كان حريصا على غلق باب الغرفة التي كان يصلي فيها فلم نكن نعرف ان كانت صلاته على طريقة المذهب السني او الشيعي علما ان والده كان سني المذهب ووالدته كانت شيعية المذهب، كما كان الزعيم يصوم خلال شهر رمضان لكنه غالبا ما كان يفطر متأخراً، وعندما لقي وجه ربه في ٩ شباط ١٩٦٢ (]وم ١٥ رمضان) كان صائماً.

× هل صحيح ما قيل من قبل البعض انه لم يكن مهتما بمطالعة الكتب؟

– كلا.. كان مهتماً بمطالعة الكتب وكانت توجد في بيته مكتبة عامرة تضم مختلف الكتب التي تتناول الموضوعات العسكرية والسياسية والتأريخية والادبية والاجتماعية.

× وكيف كانت علاقة الزعيم مع شقيقه الأكبر حامد قاسم؟

– كان حامد قبل قيام ثورة ١٤ تموز يعمل في مجال تجارة الحبوب ويتواجد في محل عمله بشارع السموأل في بغداد، وصادف خلال الاشهر الاولى لقيام الثورة ان زار حامد شقيقه الزعيم في مبنى وزارة الدفاع بعض المرات مما حدا بالزعيم ان يطلب منه التقليل من تلك الزيارات لانه كان يرى ان مثل هذه اللقاءات بينهما يجب ان تتم في البيت وليس في الدوائر الحكومية واثناء الدوام الرسمي وعلى اثر ذلك انقطع حامد عن القيام بتلك الزيارات ولم يعد يأتي الى مبنى وزارة الدفاع.

والغريب انه بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ جرى اعتقال حامد بتهمة استغلال نفوذه خلال حكم شقيقه الزعيم لتحقيق منافع شخصية وبقي في المعتقل نحو عامين ثم اطلق سراحه دون ان تثبت عليه التهمة لانها كانت باطلة اساساً وكان الانقلابيون يريدون من خلالها الاساءة اليه والى الزعيم ليس اكثر.

× وعلاقته مع شقيقه الاصغر عبد اللطيف قاسم؟

– كان عبد اللطيف يعمل نائب ضابط في الجيش قبل قيام الثورة ويسكن داراً صغيرة في منطقة تل محمد ببغداد وقد استمر في عمله في الجيش وبقي يسكن الدار المذكورة طوال مدة حكم الزعيم، ولم يكن عبد اللطيف يأتي الى مبنى وزارة الدفاع الا خلال مناسبات الاعياد حيث كان يقدم التهاني للزعيم وقد احيل عبد اللطيف على التقاعد بعد مضي مدة على انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣.

× وكيف كانت علاقة الزعيم مع الصحفي يونس الطائي؟

– كان يونس الطائي صاحب جريدة (الثورة) البغدادية السياسية اليومية يحب الزعيم لدرجة تفوق التصور وكان من اشد مناصريه وبالمقابل كان يحظى بالتقدير من لدن الزعيم، وقد عبر الطائي عن اخلاصه ووفائه للزعيم عندما جازف بحياته وتمكن من الوصول الى مبنى وزارة الدفاع مساء يوم ٨ شباط ١٩٦٣ اثناء احتدام القتال بيننا وبين الانقلابيين حيث اقترح على الزعيم وبأصرار القيام باجراء المفاوضات مع قادة الانقلابيين في محاولة منه لانقاذ حياة الزعيم. وتوجه لهذا الغرض الى دار الاذاعة في الصالحية حيث مقر الانقلابيين ثم عاد الينا حاملاً ردهم بضرورة استسلام الزعيم تمهيداً لايقاف القتال بين الجانبين، وكان الطائي هو المدني الوحيد الموجود بيننا في تلك الساعات العصيبة، وبعد ان تعثرت جهوده في انجاح المفاوضات اعتقله الانقلابيون وبقي قيد الاعتقال طوال الاشهر التي اعقبت انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ثم اطلق سراحه، وهو ما زال على قيد الحياة وحسب علمي انه كان يقيم في دمشق خلال الاعوام الماضية. (توفي قبل سنتين.. المدى)

× هل كان اللواء الركن احد صالح العبدي رئيس اركان الجيش والحاكم العسكري العام انذاك هو الرجل القوي من حيث الصلاحيات والنفوذ في عهد الزعيم؟

– من حيث الصلاحيات نعم، لكن ليس من حيث النفوذ اذ ربما يجهل الكثيرون او ليست لديهم معلومات كافية بأن العميد الركن طه الشيخ احمد مدير الحركات العسكرية انذاك كان هو رجل النظام القوي لكن الزعيم قام بتحجيم دوره فيما بعد، فقد كان هذا الرجل مسيطراً على بعض اجهزة الدولة الحساسة ومن خلال نفوذه كان يتابع الانشطة والتحركات المعادية لمناوئي نظام حكم الزعيم من بعثيين وقوميين وغيرهم وكان هؤلاء يرتدعون خوفا منه وهم في بيوتهم!

واتذكر ان الزعيم استدعاه ذات مرة وسأله عن عدد الموقوفين لديه من البعثيين والقوميين فاجابه العميد الركن طه بأن عددهم يزيد عن (١٢٠) شخصاً فاجابه الزعيم بقوله: (عليك اطلاق سراحهم في الحال)، وكان ذلك ايذانا بنهاية نفوذ طه الشيخ احمد حيث تم بعدها تحجيم دوره وبقي مهمشا في وزارة الدفاع وحتى يوم مقتله الى جانب الزعيم في ٩ شباط ١٩٦٣، ان التسامح المفرط للزعيم مع خصومه من اعداء البلاد ونظام حكمه وكذلك اعتماده مبدأ (عفا الله عما سلف) و(الرحمة فوق القانون) كان احد الاسباب التي مكنت الانقلابيين من الاطاحة بنظام حكمه في ٨ شباط ١٩٦٣.

طه الشيخ احمد كان رجل النظام القوي لكن الزعيم قام بتحجيم دوره فيما بعد!

الزي العسكري كان زي عبد الكريم قاسم المفضل وقد لاقى وجه ربه بالزي نفسه!

الشاي في التراث الشعبي

كمال لطيف

تقولُ المصادر ان الشاي لم يكن معروفاً في بغداد حتى ١٨٧٠م ايام الوالي مدحت باشا حيث كان اصحاب المقاهي يوزعون على جلوس المقهى –القهوة– والسكنجبيل –واللقم– وبعد ان عرف الشاي عند البغداديين اصبحت له أهمية كبيرة فأصبح جزءا من ضرورات حياتهم، فهم يشربونه في الصباح عند فطورهم كما يشربونه عصراً عندما يستيقظون من نوم القيلولة ايام الصيف او التعلولة ايام الشتاء حيث توضع –المنقلة– وفيها فحم كراجي والقوري المحتوي على شاي معطر بالهيل ومعه الكعك –والبقصم– وماعون الحب والجرزات ثم يبدأ حديث النسوة في الزقاق مرافقاً لشرب الشاي والبغداديون يطلقون بعض العبارات على الشاي مثل: (صبلي جاي من راس القوري– او جاي تازة– او جايكم فاير، اي محروق وغير ذي طعم او يقال –جاي بلاله.

وهناك الشاي الخفيف او جاي العروس او يقال جاي محطة، وهناك من يحب الشاي السنكين او الطوخ وغالبا ما يشرب هذا الشاي بعد أكله ثقيلة مثل الباجة او التشريب او باكلة ودهن ومن الملفت للنظر ان الشاي له حساسية ازاء الروائح كالعطور والصابون فهو يلفظ تلك الرائحة مما يتلف طعم الشاي الاصلي.

والشاي انواع شاي –قوس قزح– او شاي حامض او شاي كجرات او شاي دارسين.

ومن ادوات الشاي المنقلة –الوجاغ– والمهفة والقوري والكتلي والسماور والاستكان والماعون والشكردان والمصفي والخواشيك.

ومن الاغاني التي تناولت موضوعة الشاي اغنية خدري الجاي التي كتبها الشاعر عبد الكريم العلاف وغنتها الفنانة سليمة مراد كما غنتها مجموعة فرقة الاذاعة والجالغي البغدادي والكلمات تقول:

خدري الجاي خدري
اسموم المن اخدره
مالج يبعد الروح
شو دومج مكدره
بعد اهواي ياناس
المن آني اصبه
محد بعد عينه
يستاهل يشربه..

لوحة شرب الشاي للفنان نزار سليم

ذكريات عن عفيفة اسكندر.. وقصص الحب

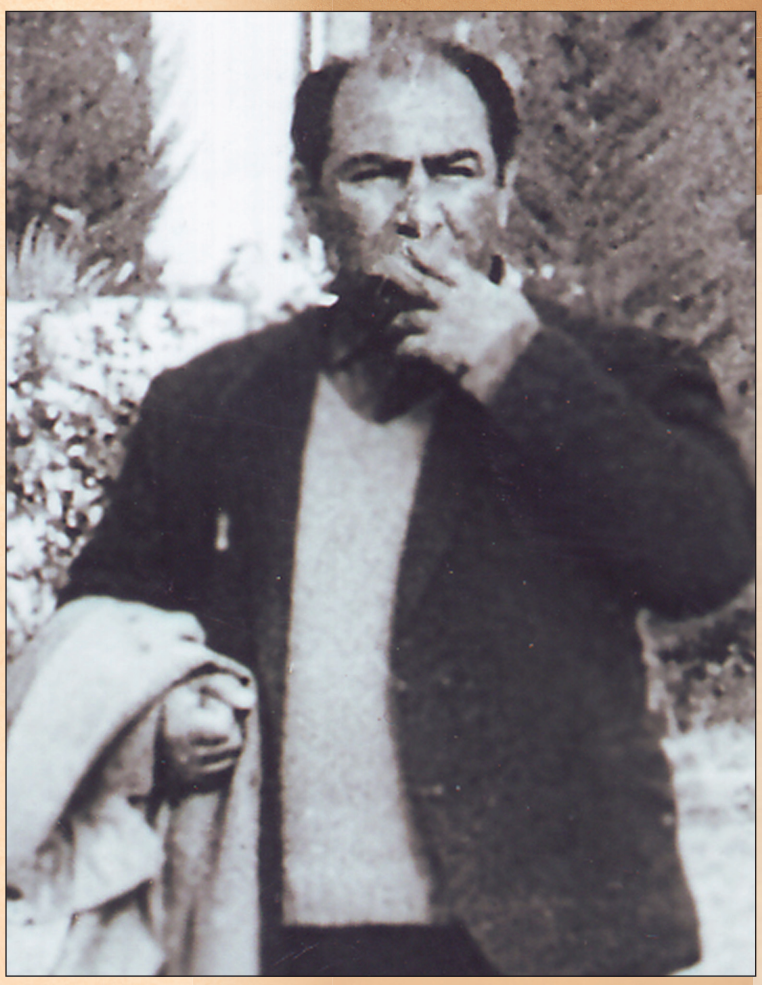

حسين مردان

«من أين لكم هذا الحلو؟»

في هذه المقالة عن عفيفة اسكندر نتناول بعض الاحداث والحكايات التي حصلت معها وكان ابطالها بعض الشعراء والفنانين، كقصة الحب المختلفة والتي كان بطلها الشاعر حسين مردان، كما سنتعرف على ما دار بينها وبين الفنان خليل الرفاعي في اول لقاء بينهما، اضافة الى موقف له دلالة معبرة بينها وبين المطرب الريفي المعروف عبدالجبار الدراجي.

وعن ذكرياته مع رائدة الطرب «عفو» قال لنا الفنان خليل الرفاعي: «امتازت عفيفة بعدة جوانب في شخصيتها فهي اضافة الى كونها صاحبة صوت جميل وحنجرة طوعتها لألوان كثيرة من الغناء كانت تساعد الكثير من الفنانين من هم بحاجة مادية او معنوية نتيجة لقسوة الحياة، وهي تساعدهم بشتى الوسائل ودون ان تبوح بذلك ولا تجعل اي احد يعرف بذلك». وتابع «مرة شاهدت الفنان خزعل فاضل الملحن وعازف الجلو وملحن اجمل اغنية في تلك الفترة «حنة حنة بيديها» وكان يشكو من ألم في عينيه ولما عرفت عفيفة خبر هذا الفنان رصدت له مبلغا ارسلته اليه كي يسافر الى الخارج وذهب ثم عاد معافى، وحاليا يملأ الحزن قلبي لأن هذه الفنانة التي قدمت العون لجميع الناس تعاني من المرض واتمنى لها الصحة والعافية والعمر المديد.

أول مطربة في التلفزيون

ويضيف خليل الرفاعي ان «عفيفة كانت اول مطربة تظهر في التلفزيون العام ١٩٥٦ حين غنت من شاشة التلفزيون في المعرض البريطاني قبل ان تشتريه الحكومة العراقية، وعفيفة فنانة مثقفة ولبقة بالكلام واختيار العبارات الملائمة وفي الوقت المناسب».

مداعبة

ويقول الرفاعي: «في العام ١٩٤٦ تم تعييني في الاذاعة على اساس الاجور الاسبوعية وكنت في يوم ما جالسا مع بعض المذيعين فتقدمت مني عفيفة ثم مسحت على رأسي بيدها وقرصت وجنتي وقالت مداعبة من أين لكم هذا الحلو؟» فأجابها المذيع محمود المعروف مداعبا، تعنين هذا الاسمر فضحكت، وضحك الجميع وبعد مدة قصيرة غنت الفنانة عفيفة اغنية (يا حلو يا اسمر، غنى بك السمر) لا لأجل المداعبة التي ذكرت وانما لأنها كانت تجيد غناء الشعر القريض والشعر الشعبي على حد سواء».

يمة انطيني الدربين

اما مطرب الريف المعروف «عبدالجبار الدراجي» فقال عن تجربته معها: «عرفت فيها مطربة متميزة وتستحق التعاون معها لما تتسم به من خلق وصوت جميل وشخصية جذابة، ولما كانت عفيفة تسمع بأغنياتي وألحاني طلبت مني (من خلال احد الاذاعيين) ان اكتب لها أغنية، وبما ان عفيفة فنانة كبيرة واصيلة وتحترم نفسها وفنها فقررت ان اكتب لها ما يتناسب وقيمتها الفنية، فكتبت لها «مسافرين» وأغنية اخرى بعنوان «انطيني الدربيل» وقد اعجبت بهما كثيرا وحاولت ان تغير كلمة اخترتها من الفلكلور في اغنية «يا يمة انطيني الدربين»، وفي البداية حاولت الاعتراض لكن بعد النقاش معها وهي صاحبة تجربة ثرية في الغناء اقنعتني برأيها وكان لها ما ارادت.

قصة حب مختلقة

وقد حدثني الزميل زهير احمد القيسي عن قصة الحب المختلقة التي كان بطلها الشاعر حسين مردان فقال: «عندما عاد حسين مردان من بعقوبة الى بغداد شابا متشردا بوهيميا ما بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ خالي الوفاض إلا من موهبته، وجد ان طريق الشهرة بواسطة الشعر مسدود امامه فصمم على ان يشق طريقه في الحياة عبر نمط جديد من الشعر لا يخلو من جرأة في تناول قضايا المرأة والجنس اضافة الى احاطة نفسه بهالة من القصص والحكايات الغريبة والعجيبة، وقد كنت انا شاهد عيان وزميلا ملازما لأدباء تلك الفترة ومن بينهم حسين مردان وقد استطاع عبدالمجيد الونداوي وغائب طعمة فرمان ان يجدا له غرفة صغيرة تؤويه في مقر جريدة الاهالي (في محلة البقجة في الميدان الذي صار الآن المركز الثقافي في ظهر وزارة الدفاع)، وكان حسين يلتقي بهذين الصديقين وبعض الاصدقاء الباقين من الادباء والمتأدبين في كازينو بلقيس في شارع ابي نواس ويبدو انه دعي ذات مرة الى الملهى الذي كانت تغني فيه عفيفة اسكندر فعشقها ومن ذا الذي لا يعشق عفيفة في تلك الايام وهي على ما هي عليه من جمال وشهرة وحلاوة صوت؟، وربما استطاع حسين ان يذهب الى بيت عفيفة مرة واحدة من خلال دعوة بعض اصدقائها المقربين اليها وينتهي كل شيء على مسرح الواقع، اما الخيال فقد انشأ حسين مردان مع عفيفة اسكندر قصة حب خارقة للمألوف وراح يرويها للناس والاصدقاء بكل جدية، ولا اعتقد ان هناك من كان يصدق بتلك الحكايات الخرافية، غير ان الجميع كانوا يحبون حسين مردان ويأنسون الى احاديثه حتى الكاذب منها، ان من ارخ لهذه الحادثة او القصة المختلقة هو الكاتب العراقي الراحل غائب طعمة فرمان في روايته «خمسة اصوات» التي مثلت سينمائيا في العراق بفيلم عنوانه «المنعطف» مثل دور حسين مردان في الفيلم الفنان يوسف العاني كما قدمتها فرقة ابراهيم جلال المسرحية في مسرحية بعنوان (خمسة اصوات) مثل فيها دور حسين مردان الفنان عبدالخالق المختار واخرجها الفنان محمود ابو العباس، وفي هذه الرواية يروي فرمان بلسان حسين مردان ان قصة الف ليلة وليلة عبر غرامه بعفيفة اسكندر.

حمام وردي معطر

كان المرحوم حسين مردان يروي يوما كيف ذهب الى بيت عفيفة واخذ حماما ورديا معطرا ثم جاءت اليه بعشاء مؤلف من اطعمة نسمع بها ولا نراها، وكيف ارتدى بيجامة حريرية واستلقى على الفراش الوثير وكيف شرب عصير البرتقال قبل العشاء، وكان حسين مردان يروي هذه الحكاية وثيابه معفرة بالتراب ولم يحلق ذقنة ولم يستحم قبل شهر ولا يملك ثمن سيكارة وتفوح منه رائحة العرق والوسخ، والأمر كله متروك لعفيفة ذاتها ان تلقي الضوء على طبيعة علاقتها بحسين رحمه الله.

مجلة الاذاعة والتلفزيون اذار 1977

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون